الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات

قسم اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

الموضوع:

جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

إعداد الطّالبة:

بن عمارة بهية

إشراف الأستاذ الدّكتور

محصر وردة

لجنة المناقشة		
الأستاذ الدّكتور بورديم عبد الحفيظ	جامعة تلمسان	رئيسا
الأستاذة الدّكتورة بن زرقة يسمة شهيناز	جامعة تلمسان	ممتحنا
الأستاذة الدّكتورة محصر وردة	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرّرا

العام الجامعي: 1443هـ-1444هـ/2022م-2023م

إهداء

أهدي عملي هذا إلى من كنت أملك في هذه الدنيا، إلى من كانت السبب في وجودي على هذه الأرض إلى من وضعت الجنة تحت أقدامها ،إلى التي انحي لها بكل إجلال وتقدير والتي أتمنى أن أكون قد نلت رضاها أمي الغالية رحمها الله وإلى من أدين له بحياتي ،إلى من ساندني وكان شمعة تحترق لتضيء طريقي وإلى من أكن له الاحترام والعرفان أبي الغالي أطال الله في عمره، كما أهديه إلى إخوتي وصديقاتي بدون استثناء وإلى السادة الأساتذة الكرام الذين قدموا لي يد المساعدة وأسأل الله أن يوفقني إلى ما فيه الخير بعملي المتواضع هذا.

كلمة شكر

قال الله تعالى: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾

سورة إبراهيم:الآية 7.

أخرج الإمام أحمد عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه ،قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«من لا يشكر الناس لايشكر الله ».

أقدم شكري الخالص إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة محصر وردة على ما بدلته من أجل الوصول إلى هذه المكانة، أسأل الله أن يجازيها خير الجزاء وأن يمدها بعونه وتوفيقه خدمة للعلم وأهله، كما أتقدم بالشكر والدعاء لكل من وقف معي بجهده وعلمه ونصحه صديقا كان أم أستاذا أو قريبا ،وأتمثل فيهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه الترميذي عن أسامة ابن زيد حيت قال: {من صنع إليه معروفا فقال لفاعله :جزآك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء} فاسأل الله أن يجزيهم جميعا عني خير الجزاء وان يضاعف لهم وان يحسن لي ولهم العاقبة في الدنيا والآخرة كما أصلي وأسلم على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن ولاه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خطة البحث:

- ❖ مقدمة
- ❖ تمهيد

الفصل الأول:

المبحث الأول

- ❖ لمحة حول رواية موسم الهجرة إلى الشمال

المبحث الثاني

- ❖ ملخص رواية موسم الهجرة إلى الشمال

الفصل الثاني:

المبحث الأول:

- ❖ دراسة الجانب الفني لرواية موسم الهجرة إلى الشمال

المبحث الثاني:

- ❖ القضايا التي تطرق إليها المؤلف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

المبحث الثالث:

- ❖ جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

الملحق

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

مقدمة:

إن جل العلوم البشرية تحاول الوصول إلى مستوى الإبداع والإتقان لما يقدم من فنون على الرغم من التفاوت الحاصل بين الكتاب والمؤلفين والمختصين، ولا ضير أن يعتري هذا الهاجس أدبنا العربي في مختلف فروعه .استنادا إلى هذه القناعة الجوهرية وتلبية مني لطلب إنشاء مذكرة تخرج حيت يتمحور موضوعها حول جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للكاتب المؤلف الطيب صالح الذي أحسبه ذات فائدة علمية، إن هذا النوع من الأدب يحتاج إلى أقلام تعتصر مخزونها الثقافي للحاق بالركب السريع، فنظرت وفكرت وعزمت أنه بوسعي وبما فتح الله علينا من آليات علمية نستعين بها في ميدان الرواية للوصول بعد إضافة رأي أو تنوير مسألة أو كشف حقيقة، لكني أدركت مسبقا أن الطريق في أوله يبدو ميسورا بيد أنه سيزداد صعوبة أثناء البحث ويحتاج إلى خطى حديثة في الكشف عن المخبوء، بالإضافة إلى ذلك الإحساس بشعور يفني الهزائم ويخلق العزائم وفجأة ودون سابق إنذار زالت كل هذه العوائق بفضل الله تعالى، ثم ساق لي الله الدكتورة الفاضلة أستاذتي المشرفة محصر وردة التي أنارت لي السبل بنظر ثاقب وصدق تجربة، لأني أدركت أنني برفقة يد ماهرة محترفة، عندما حددت الغاية من هذا البحث وتيقنت من فائدة الموضوع جال في خاطري هاجس آخر يخص أي المناهج يكون أنفع وأنسب لهذا البحث فأدركت أن المنهج التاريخي يستعان به في مدخل البحث قصد تتبع مراحل التعريف بمؤلف الرواية كالميلاد وأهم انجازاته وتاريخ انجاز الرواية وما مدى نجاحها في الساحة الفنية وغيرها من معلومات أخرى تاريخية ...

ثم نضطر لأي منهج أخر يخدم البحث ويناسب ويمد الفكرة في أنها فرضت طبيعة الموضوع ونوعية المنهج تصميما للرسالة رجحت أن أكون موفقة فيه على قدر اجتهادي وعلمي المحدود، فحصرت جوانب الموضوع في عنصرين أساسيين هما:

أولهما : ماهي البنية السردية و مكوناتها في الرواية

ثانيهما: ما جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

تعرضت لبعض الصعوبات، كنقص المراجع، وضيق الوقت لأنه لم يتسنى لي أن أتعمق البحث وسبر أغواره.

وقد ختمت البحث بخاتمة كانت عبارة عن ملخص لأهم ما ورد في البحث في مجمله لإبداء الرأي والحكم المؤقت على هذه الرواية قد أكون مصيبة أو مخطئة وهذه وجهة كل باحث ولزاما علي أن أدلي شهادة حق واعتراف باهتمام أستاذتي المشرفة الدكتورة محصر وتعاملها الراقي وتواضعها المعهود فلم تحرمني من سديد رأيها فكانت تسدي إلي النصح وتجنبني الكثير من الأخطاء وكثيرا من العثرات كما أقدم خالص شكري إلى كل من قدم لي المساعدة أيا كان نوعها قولا أو فعلا سواء من بعيد أو من قريب.

تمهيد

لقد كان لهذه الحياة الجديدة أثرها الواضح في تجديد الأدب العربي ونهضته حتى أصبح الأدب عنصرا فعال لتوجيه الناس وخدمتهم، فتحرر من الصناعة والتكلف وخلص إلى خوض غمارها، فلم يعد مجرد وسيلة للإيقاظ وحشد الهمم وإقناع العقول، وتقويم الأجيال وبناء الأمم لقد تبوأ الأدب في هذا العصر منزلة رفيعة كان لابد للرواية أن تتصدرها .

فالرواية هي فن وأثر من الآثار الأدبية التي سايرت أزمة الإنسان العربي و الاستعمار عاشت ويلات الاحتلال الأجنبي لأمد غير قصير حيت كانت المجتمعات العربية قد خرجت حديثًا من أتون الاستعمار العسكري ، ولقد كان لدى هذه الشعوب الأمل في التخلص من آثاره المدمرة والمزمنة.

فكان لابد أن ينعكس كل ذلك على الإبداع الأدبي شعره و نثره، فما أكثر الدواوين و الروايات التي نقلت لنا معانات الشعوب العربية و مقاومتها ضد طمس الهوية العربية الإسلامية، و قد شكّلت رواية موسم الهجرة إلى الشمال عند ظهورها حدثًا مميّزًا واستثنائيًا في تاريخ الرواية العربية، و فتح ظهورها آفاقًا جديدة للثقافة العربية، في سياق ما يشهده العالم من مظاهر المهاجرين واللاجئين العرب في أوروبا، لذلك قد تكتسب الرواية معاني جديدة وفهمًا جديد، و تمنح المتلقي فرصة لقراءة الأحداث بطريقة مدهشة ومختلفة.

تتركز دراستنا على مساولة النص السردي وتنقسم إلى قسمين كبيرين وخاتمة، يعالج القسم الأول منها محور الموت الرئيسي في هذه الرواية حول ماهية الموت و أبعادها الدلالية و الفكرية يثير الروائي من خلاله عدداً من القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية والنفسية، أوحت بأزمة الصراع المكثف بين حضارتي الشرق والغرب فكأن المقابلة بين الأنثى والرجل ووضعهما في إطارين متمايزين من خلال الموت... تلك الرؤية الفنية ترمي إلى اختصار الصراع بين عالمين مختلفين حضارياً: "شمال ـ جنوب"، هي في النهاية المعادل الفني لأزلية الصراع بين "الشر والخير" ممثلين في "الأنثى الشر، الخير الرجل"، "شمال أنثى ـ الرجل جنوب" .

كما واصلنا دراستنا بتتبع أنواع الموت التي تمارس من قبل الرجل في هذه الرواية، فالمرأة في موسم الهجرة إلى الشمال ضحية لرجل بينما الرجل ضحية لظروف مجتمعية ساهم في خلقها مجتمع الضحية الأنثى بشكل ما، فعلاقة مصطفى سعيد بالأنثى هي دائماً علاقة آخرها موت مدمر في أغلب الأحيان.

ويتناول القسم الثاني من الدراسة الدلالات الفكرية المتصلة بعالم الموت وكيف عبرت الرواية عن هذه الدلالات في قوالب فنية منتهياً إلى أشكال الموت لدى الطيب صالح توزعت على أطر ثلاثة:

الموت ـ الوفاة

الموت ـ القتل

الموت ـ الانتحار

وكل إطار من هذه الأطر الثلاثة عن رؤى فكرية وفلسفية ونفسية اقتضتها طبيعة الأحداث والمواقف... لكن النمط الأكثر بروزاً من أنماط الموت الثلاثة السابقة هو النمط الثاني الذي يمثله: الموت ـ القتل، حين جعلته رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" يفجر طاقات متباينة من الدلالات الفكرية ووظائفها الفنية، وظل الموت القتل في صراع الشخصيات يتراوح بين السلب والإيجاب وبين الرفض والقبول وبين القوة والضعف وتتبع الدراسة التجليات المختلفة لهذا النوع من الموت عبر رواية: "موسم الهجرة إلى الشمال". وتخلص الدراسة عبر خاتمتها إلى أن للموت سلطاناً لا ينكر على عالم الطيب صالح فقد وفق الروائي من خلال بناء هذا العالم في تقديم عطيل جديد هو: مصطفى سعيد عطيل القرن العشرين الذي حاول عقله أن يستوعب حضارة الغرب لا يبالي ولا يهاب، له القدرة على الفعل والإنجاز، يحارب الغرب بأسلحة الغرب.

مصطلحات ومفاهيم:

مفهوم الرواية:

لغة : يتحدد المفهوم اللغوي للرواية بالعودة إلى ما أوردته المعاجم اللغوية رويت فقد ورد في (معجم لسان العرب) أن الرواية مشتقة من الفعل (ر.و.ى) يقال: "رويت القوم أوريتهم إذا استقيت لهم. ويقال : من أين ريتكم ؟ أي من أين ترتوون الماء ، ويقال: روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية"[1].

وجاء في (القاموس المحيط) أيضا الرواية مشتقة من الفعل (روى) يقال : "روى الحَدِيثَ ، يروِي روايةً و تَرواهُ"[2]

اصطلاحا: تعتبر الرواية أحد أهم أنواع السرد الأدبي، ولقد اختلفت وجهة نظر الباحثين في وضع تعريف موحد ومحدد لها.

مفهوم الجماليات: تعنى بالقيمة والعناصر التي تكسب العمل جمالا فنيا أو هو علم المحاسن أو الاستطاقية أحد الفروع المتعددة للفلسفة لم يعرف كعلم خاص قائم بحد ذاته.

مفهوم السرد:

لغة: للسرد مفاهيم متعددة ومختلفة تنطلق من أصله اللغوي، فهو يعني مثلا" تقدمه شيء إلى شيء، يأتي به مشتقا بعضه في أثر بعضْ متتابعا وسرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له.

1- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 14 ، ط 1، 2003، ص 425.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، ص 1290.

اصطلاحا: السرد هو طريقة الراوي في الحكي" أي في تقديم الحكاية والحكاية هي أولا سلسلة من الأحداث إنها المادة الأولية التي تبنى منها "السردية" أي أنها مضمون الحكي وموضوعاته[1] ويقوم الحكي عامةً على دعامتين أساسيتين:

أولهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداث معينة.

وثانيهما: أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردا ذلك أن قصة واحدة يمكن أن تحكى بطرق متعددة، ولهذا السبب فإن السرد هو الذي يعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي[2].

فالسرد تبعا لهذا التعريف بالحكاية طريقه التشكيل للمادة الأولية "والسرد هو العملية التي يقوم بها السارد أو الحاكي أو الراوي وينتج عنها النص القصصي المتمثل على اللفظ أي (الخطاب) القصصي والحكاية أي الملفوظ القصصي[3]

1- صلاح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف. ت: ط 1 ، 2003 ، ص 124

2- حميد لحميداني، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي. ت: ط 1 ، 1991 ، ص 45

3- جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا. ت: دار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2000 ، ص 191 .

الفصل الأول

1. المبحث الأول: لمحة حول رواية موسم الهجرة إلى الشمال
2. المبحث الثاني: ملخص الرواية

المبحث الأول: لمحة حول رواية موسم الهجرة إلى الشمال:

صدرت رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"* للطيب الصالح سنة 1966م، عن دار العودة ببيروت، وكان قد نشرها بشكلٍ متقطع في مجلة الحوار اللبنانية. تحكي الرّواية قصّة شاب يدعى مصطفى سعيد، ساقته الأقدار لينتقل إلى العيش في مدينة الضباب؛ لندن، بغرض الدراسة، وهو مثقل بالمبادئ والقيم التي استلهمها واستمدّها من البيئة القروية البسيطة التي نشأ وترعرع فيها، ليكتشف هوّة كبيرة جداً بين الوسط الذي عاش فيه والمدينة التي تضجّ بالحياة والسلوكيات الأخلاقية والثّقافية التي تختلف كلياً عمّا هو سائد في قرية مصطفى سعيد. تفوّق في دراسته، وخاض مغامرات مريرة، وغاص في تجارب كثيرة مع فتيات إنجليزيات. هذه التفاصيل التي فصّل فيها الطيّب صالح في الرّواية، قد تجعل القارئ يعتقد، انطلاقاً من حياة صاحب الرّواية، أنّ مصطفى سعيد الذي هاجر من قرية كرمكول، وهي القرية التي ولد فيها الطيب صالح ولم يغادرها إلا بعد عقده الثاني متنقلاً بين بريطانيا والخليج العربي، ما هي إلّا دلالة قويّة على أنّ مصطفى سعيد هو جزء من الطيب صالح؛ لأنّ الكاتب يوجد في شخصيةٍ معيّنة أو عدّة شخصيات ولكن وجوده فيها مبعثر، أو يمكنني أن أزعم بأنّ معظم الكُتّاب يكتبون تفاصيل حياتهم بأسماءٍ مستعارة.

بلغ مصطفى سعيد أعلى درجات العلم، ونال شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، واتسعت ثقافته لتشمل الأشكال التعبيرية الإنسانية كالأدب والفنّ، وخاض غمار تجربة عاشها برفقة أربع فتيات إنجليزيات، تمكنّ من إغواء مصطفى بجمالهنّ. انتهت العلاقة مع ثلاث فتيات بعدما سئم منهنّ، ليواجهن مصير الانتحار، بينما الفتاة المتبقيّة إنخرط معها مصطفى في مؤسسة الزواج قبل أن يعلن ختام هذه القصّة العابرة، التي حكمها الحب. وقتلها ليعتقل، و يدان بسبع سنوات سجناً في لندن. يعدّ النّاقد المصري رجاء النقاش من أبرز النقّاد المهتمّين بالإرث الأدبي للطيب الصالح، وهو من رفع براوية "موسم الهجرة إلى الشّمال" وأسهم في انتشارها في صفوف القرّاء، ويقول في هذا المضمار:" العلاقة بين مصطفى سعيد والفتيات الإنجليزيات الثلاث لم تتجاوز العلاقة الجسديّة، لم يكن هناك بين هذه العلاقات علاقة حب حقيقية، بل كانت كلها علاقات شهوة جامحة، فالفتيات الإنجليزيات يرين في

مصطفى سعيد مظهرا للقوة البدائية الوافدة من إفريقيا. إنّه بالنسبة إليهن ليس إنساناً يستحق علاقة عاطفية كاملة بكل جوانبها الروحية والمادية معاً، فهو كائن غريب، يحمل رائحة الشرق النفاذة، وهو حيوانٌ إفريقي يستحق أن تلهو به هؤلاء الفتيات، ويستمتعن به فقط". ما يمكنُ اشتقاقه من قول الناقد رجاء النقاش هو أنّ الانتقام خيطٌ حاضر بقوّة في الرّواية، وعلاقات مصطفى سعيد تحكمها الشّهوة العابرة، إذ كانت تخلو من المشاعر النّبيلة، يمكننا أن نفهم من خلال هذا الخيط أنّه مسيّر من خلال رغبة جامحة في الانتقام، وما رسم معالم هذا الانتقام هو تلك الدلالة التي أرادها الطيب صالح، عندما منح للبطل تاريخ ميلاد قد يبدو عادياً (1889م) بيد أنّ هذا التاريخ يشي بنكسة كبيرة عاشتها السودان، إذ تزامن تاريخ ولادته مع البداية الرّسمية للاحتلال البريطاني، ليمارس المحتلّ إجحافاً وحيفاً مخلّفاً جراحاً تعوي في ذوات السودانيين.

ومن المفهوم أن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" نالت شهرتها من كونها من أولى الروايات التي تناولت، بشكل فني راق، الصدام بين الحضارات وموقف إنسان العالم الثالث النامي ورؤيته للعالم الأول المتقدم، ذلك الصدام الذي تجلّى في الأعمال الوحشية دائماً، والرقيقة الشجية أحياناً، لبطل الرواية "مصطفى سعيد".

مثّلت رواية موسم الهجرة إلى الشمال وقت ظهورها؛ حدثا استثنائياً في تاريخ الرواية العربية، وانطلاقًا إلى آفاق جديدة في الثقافة العربية، فبعد أكثر من خمسين عاماً من ظهور الرواية، لا تزال رواية موسم الهجرة إلى الشمال طازجة كيوم ولادتها. وفي السياق الذي نشهده من موجات اللاجئين والمهاجرين العرب في أوروبا، وموقف الدول الأوروبية من ذلك مع صعود تيار أليم ينفيها، فإن الرواية تكتسب معاني جديدة وتمنح القارئ فرصة لرؤية الأحداث بطريقة مدهشة.

استعرضت الرواية فكرتها من خلال ثلاث شخصيات رئيسية، مثّل كل منها رؤية مختلفة للوجود تظهر في أول الرواية شخصية الراوي الذي يمثل الجيل الثالث في الرواية، و الذي عاش أغلب حياته بعد رحيل الاستعمار الإنجليزي، ثم هناك شخصية الجد و التي مثلت بساطة المجتمع التقليدي، مجتمع ما

قبل الاستعمار و التحديث، ثم شخصية مصطفى سعيد؛ الشخصية الرئيسية و الأكثر إثارة للتأمل طفل يتيم الأب يعيش هو وأمه وحيديْن، ويقرر الالتحاق بالمدرسة والتعليم النظامي الحديث، ليُظهر هنا تفوقاً ونبوغاً ملفتين للنظر،يرى فيها لمعلمون معجزة،إذ يقول له ناظر المدرسة: "هذه البلد لا تتسع لذهنك". ثم سهل عليه الدراسة في القاهرة و لم يبلغ الثانية عشر بعد، و من هناك وبمساعدة عائلة مستشرق إنجليزي يكمل رحلته للدراسة في لندن.

تحوّل مصطفى سعيد إلى أسطورة يحكي عنها كثيرون، أبحر في الثقافة الغربية حتى شعر بأنه امتلكها مستوعباً كل تفاصيلها و مركّباتها الثقافية في المسرح والموسيقى و الاقتصاد؛ عرف الحانات والمقاهي والمسارح والأندية، و أجاد اللغة الإنجليزية كما يتكلمها أبناؤها، وكتب العديد من الكتب. استطاع هضم الثقافة الغربية لكنّ شيئاً ما في قرارة نفسه كان ينحيه عن الاندماج الكامل معها و عن تخطيها، ليُمثل بذلك جيل الوسط في الرواية، الجيل الذي خاض تجربة الاستعمار و تشربها حتى النخاع، ومن خلال شخصيات الرواية و كيفية تمثلها لعالمها تفتح الرواية أسئلة متعددة و أبعاداً متنوعة وزوايا وتفاصيل مثيرة كلها تغريب الدراسة.

متمثلا داخل الرواية في شخصية الجد كان مجتمع ما قبل الاستعمار الوجود بكل مكوناته تمثل الحياة و الزمن والطبيعة والنفس الإنسانية و الحوادث التاريخية كمُعطى طبيعي لا يثير التساؤل ولا يبعث على التأمل" أيام نقضيها على وجه الأرض وبعدها يفعل فينا ما يشاء. ."

انسجمت الحياة في أعينهم مع الطبيعة كامتداد لها، حيث تصفهم الرواية دائماً بالبعد عن التركيب والتساؤل"الشجرة تموت ببساطة، وجدك عاش و سيموت ببساطة ."

يُفسر المفكر عبد الله العروي هذه الحالة التاريخية بأنه هل يمكن لدى أي مجتمع القدرة على تقبل الاستعمار أي تساؤل حول الذات أو الوجود، وسبب ذلك استمرار التاريخ بلا انقطاع أي بدون حوادث تاريخية جذرية تهدد النُظم الاجتماعية و السياسية المتوارثة لعشرات القرون .

يبدأ التساؤل في الظهور مع الجيل الثاني في الرواية مع شخصية مصطفى سعيد الذي أحس بمرارة الاستعمار وعايشه وشهد نهبه لثروات بلاده مع احتفاظه بأمله في أن ينتصر لذاته صارت صورة

الذات التي تمثلها مصطفى سعيد بوعي، هي صورة الشرق المستعمَر المهزوم متمثلا في حالة الرجولة البدائية، هذا الشرق الذي تعرض للاستعمار من قبل الغرب المستنزف لثرواته المستغل له والمحتكر لقدراته ، أما الآخر فهو الغرب الأوروبي بحضارته الغربية الصناعية وتقاليده الأرستقراطية التي تتجسد في جانب منه المرأة الأرستقراطية الأوروبية شخصية جين مورس وهكذا تمثلت العلاقة بين الشرق والغرب في علاقة صراعية بين رجل بدائي وامرأة أرستقراطية .

بيد أن تلك الصورة المتخيلة التي تمثلها مصطفى سعيد عن الذات ليست حقيقية كما تخبرنا الرواية على لسانه بأنه ينظر لنفسه أنه مجرد أكذوبة صنعها الاستعمار ذاته. لاحقا أثبت الفيلسوف إدوارد سعيد أن فكرة الهوّية "الشرق" كان شيئا من اختلاق الخطاب الاستعماري الغربي ،وهو الخطاب الذي صاغ من الوجود الحقيقي لشعوب الشرق صورةً خاصة متخيّلة فانتازية إلى حد بعيد .

مثّل مصطفى سعيد بشكل رمزي القطيعة التاريخية التي خلقتها حالة الاستعمار في المجتمعات الشرقية فصوّرها الطيب صالح ببراعة كشخص لا منتمي بلا جذور قبلية أو عائلية كما كان الحال في المجتمعات الشرقية التقليدية بدا واضحا ذلك في تصوير هل علاقته بأمه " مخلوقان صارا شطراً من الحياة معاً ،ثم سلك كل منهما سبيله". كانت إجابة مصطفى سعيد لسؤال الهوية وهي إجابة مصطنعة بشكل واعي هي من إفراز العملية الاستعمارية نفسها ؛عبارة عن هوية وصورة متخيلة وبدون أصل تاريخي عن الشرق لا وجود لها إلا في ذهن الاستعمار فقط حتى لو استخدم الانتقام من النظام الذي ساهم في إنتاجه كذات قلقة كما يظهر في الرواية .

مثلت شخصية الراوي النقيض من مصطفى سعيد فعلى الرغم من تشابه بداية حياتهما والاحتكاك بالغرب والاستعمار وإدراك الراوي لعمق التأثير الاستعماري في تشكيل الوعي بالهوية وبالوجود لدى المستعمَرين ،إلا أنه يبدأ من تأكيد أصالة انتمائه للمكان الذي وُلد فيه والناس الذين عاش معهم وتربى وسطهم والعادات والقيم التي مثلت هويته الأصلية، فكان الحب والإحساس بمعاناة وهزيمة الشرق الذي يحمله الراوي، إنما ينبع بالأساس من مشاعر الهوية وانتمائه للوطن، و الذي عبر عنه في قوله "إنني عدت ولي شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحنى النيل".
وليس هذا فحسب بل يصور مدى حبه لعشيرته وهو ما نراهُ في قوله "ذاك دفء الحياة في العشيرة"، ويتبعها بقوله "فراشي الذي أعرفه في الغرفة التي تشهد جدرانها على نزهات حياتي في طفولتها

ومطلع شبابها"، فشعر بأنه يعود إلى الرحم الذي خرج منه وإلى العناصر الثابتة التي تزيده ثباتاً، فيبدو لنفسه وسط محيطه الطبيعي مثل النخلة في فناء الدار، مخلوق له أصل، له جذور، له هدف

فهو يحسب جذوره دائماً ويحن إليها، هذه هي أرضه ومنها يكتسب هويته؛ "تمتلئ عيناي بالحقول المنبسطة كراحة اليد إلى طرف ا لصحراء حيث تُقام البيوت، أسمع طائراً يغرد، أو كلباً ينبح أو صوت فأس في الحطب، أحسب الاستقرار، أحس أنني مهم، وأنني مستمر ومُتكامل". وكذا في استمرار علاقته بالتاريخ كمصدر للذاكرة والإحساس بالأمن؛" أذهب إلى جدي ليحدثني عن الحياة قبل أربعين عاماً بل خمسين عاماً، لا بل ثمانين، فيقوى إحساسي بالأمن".

نظر الراوي إلى الاستعمار كجزء من التاريخ وجزء من الذاكرة التاريخية التي شكلت وعي المجتمع السوداني بعد الاستعمار؛ "لم يكن مجيئهم مأساة كما نصور نحن، ولا نعمة كما يصورونهم،كان عملاً سيتحول مع مرور الزمن إلى خرافة". فالاستعمار قد حدث وانتهى ولم يَعُد ممكناً العودة بالزمن إلى الوراء ولا الحديث عن هوية أصيلة نقية متمايزة عن الاستعمار وحوادث التاريخ؛ "كونهم جاءوا إلى ديارنا ،لا أدري لماذا هل معنى ذلك أننا نسمم حاضرنا ومستقبلنا ،إنهم سيخرجون من ديارنا عاجلا أم آجلاً ،سكك الحديد والبواخر والمصانع والمستشفيات والمدارس ستكون لنا وسنتحدث لغتهم دون إحساس بالذنب ولا إحساس بالجميل،سنكون كما نحن قوماً عاديين وإذا كنا أكاذيب فنحن أكاذيب من صنع أنفسنا" .

وهكذا صور الكاتب جوانب الرواية والجميل فيها هو أسلوب الطيب صالح، يأخذك بالزمن من مرحلة إلى أخرى بكل سهولة وإتقان، فتارةً تجد نفسك في القرية بكل تفاصيل الحياة القروية، وتارة تجدك في إحدى أرقى الأماكن اللندنية مع مصطفى سعيد، و يكتب الطيب صالح وكأنه يملك كرة سحرية تتحكم بالزمن.

الحوارات التي دارت بين الشخصيات دقيقة ومعبرة ولا نجد فيها تكلف، فأهل القرية كما يقول الطيب الصالح إذا غضب رجل على الآخر يقول له:"يا بن الكلب"، وهكذا نجد الحوارات منطقية وواقعية.

المبحث الثاني: ملخص رواية موسم الهجرة إلى الشمال :

تبدأ الرواية بعودة طالب (الراوي) من لندن بعد إكمال دراسته التي استغرقت سبع سنوات إلى بلدته الواقعة على ضفاف النيل فيستقبله أهله وأهل القرية الذين عرفهم ومنهم من لم يعرفهم، وبينهم "مصطفى سعيد" ذلك الوجه الجميل لرجل لم يعرفه الراوي و عند السؤال عنه عرف الراوي انه رجل من الخرطوم جاء إلى القرية منذ خمس سنوات و اشترى أرضاً عمل بها ثم تزوج بإحدى بنات القرية وأنجب منها طفلين, و أجمع أهل القرية على أنه رجل صالح و طيب، لكنه غامض في نفس الوقت.

دعي الراوي مصطفى سعيد ذات مساء إلى مجلس شراب في بيت صديقه منذ الطفولة (محجوب)، واستجاب مصطفى سعيد للدعوة، وبعد أن شربا قليلاً، بدأ مصطفى سعيد وقد انتشى بطعم الخمر يهذي ويردد شعراً إنجليزياً بلهجة متقنة، وهو ذاك الذي لا يتكلم إلا إذا طلب منه، هذا الأمر استثار فضول و غضب الراوي، الذي لم يظن أبدا سماع هكذا شعر في قرية كقريته، فصرخ به وأراد أن يعرف سر غموض ذلك الرجل، فوضع مصطفى سعيد الكأس وخرج.

دعاه مصطفى سعيد في اليوم التالي ليخبره بكل شيء .. قصته، حياته، رحلته باتجاه الشمال، مغامراته العاطفية الأقرب إلى المرض، الذي تسبب بانتحار ثلاث نساء انجليزيات، وقتل زوجته الانجليزية أيضا ....

فمصطفى سعيد هذا هو شخصية غريبة كان عبقرياً وذو شخصية مستقلة وجامدة منذ صغره، اختصر سنواته الدراسية بسبب عبقريته اللا محدودة مما مهد له ترك السودان والرحيل شمالا باتجاه القاهرة، و هناك اكتشف عالماً آخر أوسع وأعمق من القاهرة كانت رحلته الأكثر اشتمالاً باتجاه عاصمة العلم والاستعمار بآن واحد لندن.

يلمع نجمه في سماء لندن و يصبح أستاذاً محاضراً في جامعاتها و هناك تحدث الأحداث الأكثر غرابة والتي هي لب الحكاية.

رجل جاء من حيث الأساطير ومياه النيل، هذا الرجل (مصطفى سعيد) و بكل تلك المواصفات يجتذب نساء بريطانيا الباحثات عن المغامرة في رجل إفريقي استطاع بحكاياته عن الغابة و الحيوانات الإفريقية و بأسلوب اجتذب تلك النساء إلى ما سماه "الجرثومة الممرضة" و التي قصد فيها سحر الشرق.

أصبحت تلك النساء اللواتي تستنشقن البخور والعطور العربية، أصبحن مريضات بهذا الرجل، فكانت النتيجة انتحار ثلاث منهن، واحدة فقط تحدته لمدة ثلاث سنوات وهو يطاردها، وحين ملت من مطاردته قررت الزواج به هذه المرأة (جين مورس) التي دمرته وحطمت الكثير من كبريائه وجربت معه لعبة الخيانة و التحدي فما كان منه إلا أن قتلها.

إنها حكاية مصطفى سعيد رجل أسطوري رواها للراوي و بعد مدة قصيرة وخلال فيضان نهر النيل اختفى مصطفى سعيد وكأنه كان مجرد حلم. ثم مضى تاركاً زوجته أعلن الحداد عند باقي أهالي القرية لاعتقادهم أنه غرق خلال الفيضان وترك ولدين صغيرين وترك رسالة يوصي بها الراوي بأن يكون ولي أمر زوجته وولديه وأن يرعاهما ويمنعهما من السفر إن هما فكرا بذلك حين يكبران.

يرحل الراوي إلى الخرطوم ليعاود عمله الذي كان قد بدأه هناك وللعيش مع زوجته وأولاده هناك تاركا تلك القرية التي يعود إليها بين الفينة والأخرى لزيارة أهله والسؤال عن شؤون زوجة مصطفى سعيد وولديه.

زوجة مصطفى (حسنة بنت محمود) امرأة شابة جميلة قررت عدم الزواج بعد مصطفى خاصة (ود الريس) الرجل العجوز الذي رفضته حسنة و لكنه (كرمز للذكورة الشرقية) يأبى أن يتقبل فكرة أن ترفضه امرأة وخاصة امرأة أرملة كـ " حسنة " فيصر على الزواج بها ويحصل على موافقة والدها.

حسنة الأرملة التي نجدها ترتاح للراوي تطلب من جده في غيابه أن يطلب منه أن يعقد قرانه عليها ولو شكلياً حتى تتخلص من فكرة الزواج من " ود الريس " و لكن الجد يرفض هذه الفكرة ويعتبرها وقاحة منها.

كل هذه الأحداث تحدث و الراوي غائب في الخرطوم. و هنا تقع المأساة حيث يجبر والد حسنة ابنته بالزواج من "ود الريس" لكنها ترفضه كزوج فتقتل العجوز ثم تقتل نفسها بطريقة يصورها الكاتب بمأساوية رهيبة.

يعود الراوي على أثر هذه الحادثة إلى قريته ليحمل نفسه جزءاً كبيراً من المسؤولية في هذا الحادث الذي هز أركان القرية خاصة أن صديق طفولته " محجوب " كان قد طلب منه أن يتزوج من" حسنة بنت محمود " ولكن لم يأخذ الأمر بمحمل الجد بل اعتبر طلبه نكتة ضحك لها.

و ما يحدث أن الراوي يكتشف بعد موت حسنة انه أحبها مما يزيد من شقائه بموتها.

ينقلب الراوي على نفسه ... على قريته ... على مصطفى سعيد و ذكرياته. حتى انه يدخل غرفة مصطفى التي كانت بمثابة غرفة سرية له لا يدخلها غيره. وليكمل تجميع باقي خيوط قصته في انجلترا ورحلته نحو الشمال، ويقرر بداية الأمر أن يحرق كل محتوياتها التي يشعر أن مصطفى قد أبقى مفتاح هذه الغرفة معه ليخرج منها صورة متكاملة تكون في صالحه. و أنه يريد أن يكتشف كأثر تاريخي له قيمته.

تنتهي الرواية في لحظة انعتاق من الذات يقوم بها الراوي في لحظة يندمج فيها كإنسانٍ مع نهر النيل الذي هو أصل الحكاية كلها. هذه و باختصار أحداث الرواية التي اعتبرت معجزة أدبية في الأدب العربي لا بل الأدب العالمي ككل، وهي بالتأكيد رواية صالحة لكل زمان ومكان.

الفصل الثاني

1- المبحث الأول: دراسة الجانب الفني لرواية موسم الهجرة إلى الشمال:

2- المبحث الثاني: القضايا التي تطرق إليها المؤلف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

3- المبحث الثالث: جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال

المبحث الأول: دراسة الجانب الفني لرواية موسم الهجرة إلى الشمال:

الشخصيات:

تدور أحداث الرواية بين عدد من الشخصيات الرئيسية مثل كل منها رؤية مختلفة للوجود، تظهر في: مصطفى سعيد: يعد الشخصية المحورية والمحركة للأحداث، ويمتاز بأنه شخصية مضطربة ومتذبذبة، وهو طالب من أصول سودانية يهاجر من الجنوب –أي أفريقيا– إلى الشمال –أي أوروبا– بصفتة طالب ثم يعمل محاضرًا في إحدى جامعات بريطانيا، فينخرط في ذلك المجتمع الغربي ويتبنى قيمه وعاداته.

الراوي: ظهرت شخصية الراوي من بداية الرواية إلى نهايتها، كان له أثر في الكشف عن مكنونات شخصية البطل مصطفى سعيد، كما سرد جانبًا من حياته والمواقف التي عايشها.

الشخصيات الثانوية: والدة مصطفى سعيد التي تولت تربيته وحدها حتى كبر ووالده الذي كان له دوره في إخبار عن الشخص الغريب الذي كان مع مستقبليه بعد عودته من أوروبا.

جدّ الراوي: هو رجل كبير في السن يقترب عمره من مئة عام، وقد كان عالمًا بكل شيء عن مصطفى، وهو يمثل الرجل الشرقي الذي بقي محافظًا على عراقته وتاريخه القديم.

حسنة بنت محمود: هي زوجة مصطفى سعيد، وقد كانت امرأة وفية محبة لزوجها ولم تنكر عشرتها معه بعد وفاته، لكن كانت نهايتها حزينة بقتلها لنفسها بعد زواجها من ود الريس.

ود الريس: يمثل شخصية الجيل القديم في القرية، أراد الزواج من حسنة أرملة مصطفى سعيد بالإجبار، فهي لا تريده ولا تريد الحياة معه.

جين موريس: هي فتاة تزوجها مصطفى سعيد في بلاد الغرب، كانت قوية ولا تُحتمَل، فقد كانت تهين مصطفى ولا تستجيب لأوامره، فكانت نهايتها أن قُتِلَت على يده.

محجوب: كان الصديق والمرافق الدائم لشخصية الراوي، ويقدم له النصائح في العديد من المواقف والأمور.

آن همند: هي فتاة أجنبية تدرس اللغات الشرقية وتنحدر من أسرة ثرية وذات مستوى اجتماعي مرموق، استطاع مصطفى سعيد أن يحصل منها على ما يُريد.

مستر روبنسون وزوجته: كانا يشكّلان العائلة الحاضنة لمصطفى سعيد في القاهرة، فمنحاه العطف والحنان الذي حرم منه.

العنوان:

يحمل عنوان الرواية "موسم الهجرة إلى الشمال" عدة مفارقات جدليّة؛ إذ يمكن أن يشير في دلالته العميقة إلى وجود صدمة نفسية وفكرية من جهة، ووجود جوّ درامي من جهة أخرى، فلفظ "الهجرة" في سياقه الكامل يعطي دلالة على أنها هجرة ثقافية مرتبطة بالزمان والمكان وليست مقتصرة على الخروج من الوطن فقط، أما لفظ "موسم" فهو يُعطي تلك الهجرة طابعًا جماعيًا، بينما لفظ "الشمال" يشير إلى أنّ هناك مكانًا آخر مغايرًا يُقابله وهو الجنوب، وبينهما اختلافات عديدة.

المكان:

تدور أحداث رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" في عدة أماكن محورية ذات أهمية كبيرة في تحديد مسار الأحداث، وهي الخرطوم عاصمة السودان والقرية السودانية النائية، بالإضافة إلى لندن عاصمة بريطانيا، والقاهرة عاصمة مصر، كما وردت عدة أماكن أخرى كان دورها ثانويًا في الرواية وله أهمية أيضًا، والأماكن جميعها –الرئيسية والثانوية– معًا كانت ذات صلة بالمغزى الرئيس من هذا العمل الأدبي.

المبحث الثاني: القضايا التي تطرق إليها المؤلف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال:

1-1 قضية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب:

ركّزت رواية موسم الهجرة إلى الشمال على صراع الحضارات برواية مليئة بمشاعر التغيير، وبذاكرة خصبة مُفعمة بالصراعات بين طبيعة الحياة في مدينة لندن، وبين الحياة في السودان تعد علاقة الشرق بالغرب أكثر المسائل إثارة للحوار، وعليه فقد أصبحت هذه القضية تشغل فكر كل روائي عربي، فكانت معظم متونهم الروائية، تصور هذه الثنائية باعتبارها علاقة صراع قائم بين شرق متخلف وغرب متقدم، هذان العالمان المتمايزان يثير الروائي من خلالهما عدداً من القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية والنفسية، توحي بأزمة الصراع المكثف بين حضارتي الشرق والغرب فكأن المقابلة بين الأنثى والرجل ووضعهما في إطارين متمايزين من خلال الموت... هي رؤية فنية ترمي إلى اختصار الصراع بين عالمين مختلفين حضارياً: "شمال . جنوب"، هي في النهاية المعادل الفني لأزلية الصراع بين الشر والخير.

عمد الروائي الطيب صالح في الكشف عن أسرار الشرق والغرب في روايته موسم الهجرة إلى الشمال وسبر أغوار العلاقة بينهما، وكذا الكشف عن أسباب هذا الجدل القائم بين الشرق والغرب.

1-2 إشكالية الهوية بين الشرق والغرب:

" فالهوية هي شعور بالوحدة والتميز [1] مجموعة هذه المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد والحرية ولكن لا يمكن تحققها إلا من خلال المواجهة مع الآخرين، لأن الآخر أو الغير يعكس للفرد الصورة الحقيقية التي يكونها عن نفسه، ومن هنا تظهر هوية الإنسان العربي من خلال وعيه بالآخر وإحساسه بوجود الاختلاف والتفاوت بين الذات والآخر "وتظهر هوية العربي من وجود الآخر وحضوره والوعي به لأن إدراك حضور الآخر يؤدي إلى شعور الذات بالاختلاف والتميز كما أن الوعي بالذات والهوية يتنامى ويزداد عندما تعقد الذات المقارنات مع الآخر وتظهر الفوارق الخلقية

[1]. محمد مسلم، الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، دار قرطبة للنشر ص.89.

والإيديولوجية تبدأ الهوية بالشكل ويبرز الوعي بوجود هوية "، فالهوية هنا بحاجة للآخر حتى تحقق مدلولا أو معناها الحقيقي لأن هذا الآخر أيضا [1] هو الذي يؤكدها أو ينفي بعض أبعادها.

إن الهوية لا تكتسب مدلولها و معناها الحقيقي إلا من خلال مواجهتها مع الآخر، وهذا الآخر يمكن أن يكون فردا وعلى العموم هو جماعات متعددة، أو فئات اجتماعية التي بتفاعلها داخل هذه الجدلية بين الذات والأخر. و هذه الجدلية بين الذات، الأنا "الشرق"والآخر الغرب" تحدث عنها كثيرا أمثال روبري كوز[2] بقوله:" المجتمع يكون له تأثير على هوية الأفراد وقال أيضا: "إن التكامل موجود بين الذات والآخر".

[1] ذ.سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعور العربي، ص .26

[2] ذ – محمد مسلم الهوية في مواجهة الاندماج، ص .109

المبحث الثالث: جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال:

موسم الهجرة إلى الشمال للروائي" الطيب صالح "تعد ضمن روايات الحدث أو الحركة وتعالج موضوع الصراع الحضاري بين الشرق والغرب وأثر الهجرة إلى الشمال، وتنبع أهميتها مما توفره من عناصر تشويق وقدرة على شد انتباه القارئ وتعليق حواسه بما يرويه الراوي. كما أنها تمتاز عن باقي الروايات العربية من حيث بناء الشكل الفني، وذلك من خلال البراعة التي كشفت عنها اللغة السردية للرواية.

حيث تنطلق موسم الهجرة إلى الشمال من حدث بسيط إلا أن السرد ما يلبث أن يتقدم حتى يقوم بإحداث تشكيلات درامية في بنية الحدث مما جعل الرواية لا تتبع سياقا زمنيا منتظما ليجد القارئ نفسه في آن واحد أمام عدة أحداث، وعدة أزمنة و هكذا يتداخل زمن الحدث وزمن السرد ويتماثلان إلى درجة التناهي وهذه الطريقة في البناء الفني مستعارة من الإخراج السينمائي إذ سبق للطيب صالح أن عمل بالإذاعة في قسم الإخراج السينمائي وهذا من حيث البناء الفني للرواية وهي من التقنيات غير المسبوقة في الرواية العربية أبدع من تشكيلها عبقري الرواية العربية "الطيب صالح".

وتبدو موسم الهجرة إلى الشمال مبنية بطريقة تهدف إلى إثارة الالتباس لدى القارئ وتأجيج نار الصراع في الرواية إلى الدرجة التي تنتقل فيها عدوى القلق و افتقاد الأجوبة إلى داخل عدد من شخصياتها المركزية.

وردت في الرّواية ثلاثة مراحل عرف الطيّب صالح من خلالها كيف ينطّ عليها برشاقة قلّ مثيلها، وهي:

المرحلة الأولى:

العلاقات التي تعدّ أساس الرواية، تسبّبت في نهاية مأساوية لثلاث فتيات عاشرهنّ مصطفى، فرآى فيهنّ فرصة ليردّ الاعتبار للسودان التي نخرها الاحتلال وأنهكها. تمكّن الطيّب صالح في هذا الصدد، من إثارة نقطة جوهرية ألا وهي الصورة القاصرة والشّيطانية التي روّجها الغرب عن الإنسان الإفريقي

الأسود، الذي واجه ببسالة شتى أنواع التعذيب والتنكيل والتجارة الرخيصة، وقد حمل ذلك تجريحاً إنسانياً يمقتهُ ويزدريه كلّ من له ارتباط وثيق بالقواعد الآدمية المتعارف عليها.

المرحلة الثانية:

تتمثلُ أساساً في الجريمة الشنيعة التي ارتكبها مصطفى سعيد في حقّ فتاة عاشت معه مغامرات قد لا تنقضي عدّاً، ليدان بسبع سنوات في سجن ممتلئ بالمعضلات وتنخره الرّطوبة، وقد راعت المحكمة ظروفه وخفّفت الحكم عليه. بعد انقضاء فترة سجنه عاد إلى قريته في السودان يجرّ أذيال الخيبة. تزوج بامرأة سودانية عن حب جارف وصادق وأنجب معها ولدين، قبل أنْ يختفي بغتة وذلك بعد أن يترك لأحد أفراد القرية (وهو الرّاوي) رسالةً خاصّة يطلبُ منه فيها أن يتكفّل بأسرته.[1]"

لقيّ مصطفى سعيد حتفه بعد أن غمرت مياه الفيضانات القرية، وجرفت القرية وأهاليها، ونجا منها قلّة قليلة، وكانت زوجته "حسنة بنت محمود" من بين الناجين من هذه الكارثة الطبيعية. بعدما انجلت الأزمة وعادت الحياة إلى طبيعتها تقدّم لها رجل عجوز يدعى "ود الريس" للزواج بها، فرفضت ذلك رفضاً باتا، رغم الضغط الذي مورس عليها، وفضّلت الموت على أن تخوض غمار هذه التجربة والسبب وراء رفضها أنّها رأت في مصطفى سعيد الرجل الشّهم والمقدام الذي جابه بجسارة مختلف الصعاب وتكبّد ويلات الاصطدام مع الحضارة الغربية الذي لا يُعوّض.

وانتهت قصّتها بعدما أقدمت على قتل العجوز ثم قتلت نفسها. هذه الجريمة أحدثت تحولاً كليا في المجتمع السوداني. ونقرأ في هذا المضمار للنّاقد رجاء النقاش: "قتلتْ التقاليد القديمة التي تعودت أن تجعل من المرأة شيئاً من المتاع المادي، وليست "إنسانة" ذات عاطفة خاصة مستقلة. إنّها قتلت رمزاً من رموز الماضي بتقاليده ونظرته الخاطئة إلى الحياة، وأحدثت بهذه "الجريمة" صدمة مفجعة لمجتمع قريتها الإفريقي الهادئ البسيط. لقد استيقظ هذا المجتمع فجأة على هذه الجريمة الحادة القاسية، وفي هذه الجريمة سقطت حسنة شهيدة حبّها وحرصها على ألا تتراجع عن العالم الجديد الجميل الذي

1- السعيد هادف، قراءة في رواية موسم الهجرة إلى الشّمال، مجلّة: العلوم الاجتماعية والإنسانيّة، الجزائر، ص 138

خلقه لها زوجها الأول مصطفي سعيد[1]".

يرى النّاقد المصري رجاء النقاش أنه هناك تقاطعاً يظهرُ بجلاء، بين جريمة مصطفى سعيد في لندن، وجريمة زوجته السودانية حسنة بنت محمود في القرية، ويقول بخصوص هذا الشّأن: "وما أشبه جريمة حسنة بجريمة مصطفى نفسه في لندن. جريمة حسنة هي ثورة ضد التقاليد التي تحول المرأة إلى لعبة. وجريمة مصطفى سعيد هي قتلٌ للوجدان الأوروبي المعقّد، والذي يعلن كراهيته واحتقاره لإفريقيا ثم يتمسّك بها ويقبض عليها بأصابعه، بل وينشب أظافره فيها حتى لا تضيع... فموقف أوروبا من إفريقيا هو التظاهر بالكره يقابله الحرص على إفريقيا والتمسك بها. وهذا هو نفسه موقف الزوجة الإنجليزية من زوجها الإفريقي مصطفى سعيد .. كانت تبدي له كرهاً وتمنّعاً واحتقارا، وهي في الحقيقة تريده لتعتصره وتحقق متعتها ثم تعامله بعد ذلك كالكلب".

جريمة حسنة هي قتل للوجدان الإفريقي بتقاليده القديمة بحثاً عن وجدان إفريقي جديد، وجريمة مصطفى سعيد قتل للوجدان الأوروبي باستبداده وعنفه ورغبته في السيطرة بحثاً عن وجدان أوروبي خالٍ من التعقيد و المرض.[2]

المرحلة الثالثة والأخيرة:

وهي المرحلة التي نالت نصيب الأسد في الرّواية، وكانت لبّها والتي اعتنت بالرواية: العلاقة التصادمية بين الشرق والغرب، أو بالأحرى عقدة الغرب في الذّات العربية، التي زرعتها حملات بونابرت على مصر، إلى أن أصبحت بذرة يانعة بعد توالي الاستعمار الأوروبي على مختلف دول إفريقيا خلال القرنين المنصرمين. ولاشك أنّ الفرد العربي والإفريقي عامّة لا يزال بداخله جرح غائر أبى أن يندمل بعدما عاين الاضطهاد وهضم للحقوق والتنكيل وسفك الدماء بغية استنزاف خيرات وطنه، رغم المحاولات الجادّة من طرف المقاومين اللدودين عن أوطانهم، واستبسلوا في ذلك، لكن الترسانة

1 الطيّب صالح: عبقري الرّواية العَربية، مجموعة مؤلّفين، مرجع سابق، ص 92

2 المرجع نفسه، ص 92 - 93

العسكرية المنظّمة التي تتمتّع بها مختلف الدول الأوروبية كانت تصيب محاولاتهم بالفشل الدريع.

يقول الأستاذ ميلود شنوفي:

"إنّ موسم الهجرة بوصفها عملاً تخييلياً مشحوناً بالقيّم، تقدّم مصطفى سعيد بوصفه فكرة تقدّم وجهة نظرها حول وضعيّتها الخاصّة في مرحلة خاصّة، هي مرحلة تجاوز الانبهار بالغرب ووعي الذّات ومُحاولة إثبات الحضارية مع الآخر[1]" عالج الطيّب صالح، عبر رؤى سرديّة موارية، الشّعور الذي خلّفهُ الاستعمار، والتحول الذي طرأ على شخصية مصطفى بعد أن وطأت قدماه أراضي بريطانيا، وفكرة الانتقام التي تركض في اللاشعور، ويعدّ مصطفى نموذجاً لفكرة مجتمع برمّته له رغبة كبيرة في الثأر، باختلاف الوسائل والطّرائق، فمثلاً مصطفى سعيد وجد في مضاجعة الإنجليزيات، والتخلي عنهن ، تعبيراً قوياً عن فكرة الثأر التي تجتاحه، وقد نجح إلى حدّ ما في الوصول إلى مراده. شخصية مصطفى سعيد رغم أنّها مجرد شخصية متخيّلة بني بها الراوي نصّه باقتدار، بيد أنّها لا تتنافى مع الواقع كلياً، بل قد نجد شخصيات سودانية أو عربية مرّت بنفس الظروف المريرة، وحملت معها عدّة مفاهيم أساسها الغل والبغض، وفعل الأذى و طغى الثأر والانتقام.

يكمن حقد الشخصية الرّئيسة في "ردّ الأذى بأذى آخر، الأذى الجَماعي، الأذى التاريخي، قبل الأذى الشّخصي" هذا الأذى الجماعي وهو التدمير الذاتي، وهو ما سعى إليه سلاحه الفتّاك، عقل عجيب وفحولة. وقد تجمّع لديه هذا الحقد من ذاكرة حادّة لشتات أحداثٍ تاريخية و هو حين تبدأ المحاكمة يشعرُ بتفوّقه، وبنجاحه في الوصول إلى هدفه[2]."

من أبرز تجليات الاحتقار و الإهانة التي واجه بها الغرب الفرد الشّرقي، نجدها متجسدة بقوّة كبيرة جداً في أطوار محاكمة مصطفى سعيد بعدما نفّد جريمته في حقّ الفتاة اللندنية، وقد عبّر عن ذلك

[1] ميلود شنوفي، الذّات والآخر في رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال" للطيب صالح، مجلّة: دراسات أدبية، الجزائر ص 72

[2] ميلود شنوفي، الذّات والآخر في رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال" للطيب صالح، المرجع نفسه، ص 77.

الأستاذ ميلود شنوفي بقوله: "محاكمته تكشفُ حجم عقدة الاستعلاء التي تُميّز تعامل الآخر مع الفرد الشرقي، هذه العقدة التي ولّدتها سنوات الاستعمار والاستعباد، لذلك فهي ترسم صورةً أشدّ وضوحاً عن مدى حقارة الأنا في نظر الآخر حين يتعلّق الأمر بتأويل حقيقة الشّهادة العلمية على ضوء الحياة الشّخصية للبطل[1]."

وصفوة القول:

لقد كان صراع الشّرق (مصطفى سعيد) أكثر حدّة وضراوة مع الغرب، وقد تمثّل ذلك في عدّة تجليات لعلّ أبرزها: القتل، المحاكمة، الكذب؛ كلها وسائل لجأ إليها مصطفى سعيد لتحقيق ما كان يُخامر ذهنه من أفكار ثأرية. خلّف الاستعمار البريطاني مآسي لا تبرح ذاكرة السودانيين، نظراً للتنكيل الذي مورس في حقّهم بحقارة لا تحيل أيّة مبادئ أو قيم إنسانية نبيلة. "لقد استخدم أثناء صراعه مع الشّخصيات الغربيّة كلّ الأسلحة المتاحة لديه، وكان أقواها سلاح الجنس وسلاح الكذب. المهم بالنّسبة إليه هو الانتقام.

كان ذلك طريقة غريبة في التعبير من طرفه. لكن من ناحية أخرى كانت هذه الطّريقة هي ردّ فعل طبيعي منه على كلّ ما اقترفه الغرب من جرائم في وطنه السّودان[2]."

لقد جعلت هذه الرّواية الطيب صالح في مصافّ الكُتّاب العالميين، وقد قدّمها لتنال حظّها من الاهتمام، وتعتبر من أفضل عشر روايات عربية في القرن العشرين، بصرف النّظر عن القضية التي عالجها برؤية فاحصة، لتضاف لباكورة الأعمال السرديّة ونذكر هنا على سبيل المثال : "عصفور الشّرق" (1938م) للروائي المصري توفيق الحكيم (1898) 1987)، "قنديل أم هاشم" (1940م) للكاتب المصري الشّهير يحي حقّي 19921905 ... الخ. ما جعل هذا العمل متفرّداً

[1] ميلود شنوفي، الذّات والآخر في رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال" للطيب صالح، المرجع السابق، ص 80

[2] عبد القادر شريف بموسى، الكذب والجنس كأداتي انتقام في رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال"، مجلّة: نزوى، عمان ص 55.

هو توظيف الطيب الصالح للغة ناصعة ومصقولة مشبّعة بالأساليب البلاغية، وانتقى عباراته بدقّة في الوصف الدقيق والعميق للأمكنة والشخصيات والتحولات التي طرأت في الرّواية. هذا الوصف الدقيق للفضاءات التي تتحرّك فيها شخصيات النّص قد يجعل من" رواية موسم الهجرة إلى الشّمال" تندرجُ ضمن الرواية التقليدية، لأنّ هذه الأخيرة تتسم بدقّة الوصف، حيث يصبح الكاتب رساماً يرسم بالأحرف شخوص وأحداث نصّه الروائي وكأنّه يقدم لوحة تشكيلية تستمد المشاهد.

يقول النّاقد رجاء النقاش في هذا المضمار: "في هذه الرّواية قدرة خارقة على الوصف، فالقرية الإفريقية مرسومة في هذه الرّواية بريشة عبقرية، إنّك تحس بها لوحة حيّة نادرة بكلّ ما فيها من بشر وحيوانات ونباتات وليالٍ مقمرة وليالٍ مظلمة."[1]

منح الطيب صالح لشخصية مصطفى سعيد سمات وعلامات تميّزها عبر اسم ولقب، ورسم له ملامح خاصة به، وتفاصيل دقيقة جداً قد لا نكاد نجدها في الرواية الحديثة التي خضعت لتجديد واضح وكبير، وقد وصل هذا التجديد إلى إلغاء ما تميّزت به الشّخوص في الرّواية القديمة التقليدية.

يتّفق رجاء النقاش إلى حدّ ما، مع هذا الطرح: "وفي الرّواية امتزاج خصب أصيل بين فضائل الرّواية التقليدية مثل التصوير الدقيق العميق للشّخصيات وخلق الحكاية الممتعة التي تشدّ الأنفاس حتى النّهاية".[2]

شهِدت الرّواية حضوراً قويّاً للحوار بلهجة أهل السودان، لكن الطيب صالح سهر على توضيبها حتى تكون مفهومة لدي جميع القرّاء من مختلف الأقطار العربية، ونفس الشّيء فعله نجيب محفوظ في مختلف أعماله الرّوائية والقصصية، وهذا ما جعل موسم الهجرة إلى الشّمال نصّاً واضحاً لا تشوبه شائبة.

[1] الطيب صالح: عبقريّ الرّواية العربية، مجموعة مؤلفين، مرجع سابق، ص 95
[2] المرجع نفسه، ص 98

1- العودة إلى الوطن:

حيث يصف هذا الراوي المشارك، لا بصوت مصطفى سعيد، حيث تبدأ الرواية بصوت الراوي وتذكرنا هذه الرواية بعدد من الروايات التي عالجت، عودته إلى الوطن بعد انتهاء الدارسة لكن هذه البداية، حيث شخصت دهشة الشرق في حضرة الغرب المتفوق، رحلة الدراسة في الغرب الملتبسة لا تلبث أن تحيلنا بعد قليل من الصفحات إلى حكاية "مصطفى سعيد" و يتحول الراوي الغامض الذي ظهر فجأة في قرية منسية من قرى السودان، تغير حكاية مصطفى سعيد طبيعة نظرته إلى العالم ، يقص علينا حكايته التي كان يتمتع بها رغم أنه بمثل مصطفى الذي هو طالب في الغرب في الفترة التي كانت فيها بريطانيا تحتل وطنه و بدلا من أن يقوم الراوي بإفساح المجال لمصطفى سعيد لكي يروي حكايته، فإن صوت الراوي يعمل على تقطير الحكاية وتقطيعها، جعلها جزءا من سياق الحكاية الشخصية للراوي و هو طالب عربي.

والواقع أن أحداث هذه الرواية تدور حول شخصية البطل مصطفى سعيد يسافر إلى الغرب قادما من الجنوب (أي إفريقيا) بصفته طالب و يحصل على وظيفة كمحاضر في إحدى الجامعات البريطانية، كما تبنى قيم المجتمع البريطاني إضافة إلى احتلاله المناصب العليا وهناك يتعرف على مجموعة من النساء أمثال "مسز روبنسون، جين موريس شيلا غرين، إيزبيلا سيمور" كل واحدة منهن يقيم مصطفى علاقة معها ثم يتركها لينتهي بها الأمر إلى قتل نفسها بنفسها، إلا جين موريس فيقضي بذلك عليها، لأنها ترفض املاءاته، التي يتزوجها بعد مطاردة طويلة لها ثم يضطر إلى قتلها، ليدان بسبعة أعوام محكوما عليه بالسجن، ويبدو سلوك مصطفى سعيد كأنه رد فعل على الغرب، ورد الاعتبار للشرق ويلتقي هناك بصورة مفاجئة براوي القصة.

حياته فلاح عادي في قرية فلاحيه سودانية مغمورة القصة نفسها تروى عن طريق قصص يرويها الراوي والبطل، والذي عاش أيضا في بريطانيا تكون نهاية البطل مصطفى بموته بأن أغرق نفسه في مياه النيل.

2- نظرة الشرق إلى الغرب في الرواية:

لقد تعددت أوصاف الغرب في "رواية موسم الهجرة إلى الشمال" حسب تعدد الشخصيات ومستعينا بتقنية وصف الأحداث، ذلك أن الراوي أعطى لكل شخصية ميزتها و رمزيتها كالحوار والتحليل وكل شخصية من شخصيات الرواية حملت صفة محددة عن الغرب حمل كل حدث مغزى محدد عن حضارة الشرق و الغرب.

وعلى أية حال فقد كانت من الوجوه التي تمثلت عن الغرب هي:

2-1 الغرب من الجانب الإنساني:

ويظهر هذا الوجه المشرق للغرب المتجسد في الحنان و العطف و الصداقة الحقيقية في هذا الصدد نذكر منها شخصية "مسز روبنسون وزوجها" اللذين كانا بمثابة شخصيات مختلفة في الرواية، أبوين لمصطفى سعيد وهو الصبي ابن الإثني عشر عاما واليتيم الأبوين، لقد أغدقا عليه فلم يشعر بأنه وحيد ولاسيما "مسز روبنسن" التي بالعطف وحنان الأبوين أحس اتجاهها عطف الوالدة التي تركها في السودان حيث يقول عنها :(وأحسست كأنه سافر ذلك الجبل الكبير الذي حملني إليه بعيري ، يملأ عطرها ورائحة جسدها أنفي، تطويني ذراعاها، امرأة أوروبيه مثل مسز روبنسن تماما، كان لون عينيها كلون القاهرة في ذهني رماديا).حيث يقول "ويوم حكموا عليه بالسجن لم يجد غيرها تواسيه وتخفف عليه [1]" لم أجد صدرا غير صدرها أسند رأسي إليه ، حكموا علي في "الأولد بيلي" بالسجن سبع سنوات " مسحت على رأسي و قالت :لا تبكي يا طفلي العزيز، لم يحضيا الزوج و الزوجة بالأطفال لذلك كان مصطفى بمثابة ولد لهما كان يشارك مصطفى في زيارة جوامع ، تنقلاتهما ولاسيما الزوج الذي يعنى بالفكر الإسلامي .

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص29

2-2 الغرب من الجانب العنصري الطبقي:

تتجسد صورة الغرب العنصري من خلال ما رواه المأمور المتقاعد زميل مصطفى سعيد أيام كلية غوردون كان يقول:

« الدارسة في كلية غوردون في السودان التابعة للاحتلال الإنجليزي كانوا يعطونها من العلم ما يكفي فقط لملئ الوظائف الحكومية الصغرى، و كان يسكن قصر طويل مفتش المركز الإنجليزي، يتصرف في رقعة أكبر من الجزر البريطانية كلها وكانوا يتصرفون كالآلهة يسخروننا فقط نحن الموظفين ، فقد كان هناك عريض مملوء بالخدم و محاط بالجند وكان يتذمر الناس منا ويشكون إلى المفتش الإنجليزي،كان الصغار أولاد البلد مصممون لجلب العوائد هكذا نحن أبناء البلد، هكذا غرسوا في قلوب الناس بغضنا، المفتش طبعا هو الذي يغفر ويرحم فالغرب إذن عامل أبناء الوطن باحتقار و ازدراء، مجسدا التمييز العنصري بكل صورة و اللا مساواة، الضعيف غير القادر على الدفاع عن نفسه [1]» أضف إلى ذلك قول مصطفى سعيد عن معاملة الغرب له بين الشعب« بروفسور ماكسويل ، لم أكن أنا المهم بل كانت القضية هي المهمة، يتصارعون على جثتي أيام تتلمذي ، فستركين من المؤسسين لحركة التسلح الخلقي في أكسفورد... لم يخفي كراهيته لي أنت يا مستر سعيد خير مثال على مهمتنا عليه في أكسفورد كان يقول لي في تبرم: واضح و المحلفون أيضا أشتات من الناس منهم و يقول أيضا:« الحضارة في إفريقيا عديمة الجدوى العامل و الطبيب والمزارع والمعلم والتاجر والحانوتي ... لو أنني طلبت استئجار غرفة في بيت أحدهم فأغلب الظن أنه سيرفض إذا جاءت ابنة أحدهم تقول له أنني سأتزوج هذا فالمحلفون ينظرون بأنه دخيل عليهم[2] » والرجل الإفريقي فيحس حتما أن العالم ينهار تحت رجليه و لا مكان له بينهم و مختلف عنهم في الهوية يكنون الاحتقار له و لشعبه البدائي».

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص 56-57

[2] المصدر نفسه ص96-97

2-3 وصف الغرب و الحضارة:

تظهر و تشكل هذه النظرة ، معالم الحضارة الغربية في الرواية في أوج عطائها و أبهى تجلياتها ففي أثناء رحلة مصطفى سعيد إلى لندن، يتعجب في بداية الرواية بوصف الأماكن و العمران ولهاته المناظر الخلابة حيت يقول: « وأنظر إلى هذا العالم العجيب المنظم و الحضاري المتطور، سقوف القرى والسكسونية القائمة على حوافي التلال ،إلى اليسار و اليمين إلى الخضرة الداكنة منشورة فوق الوديان محدودبة كظهور البقر و ثمة غلالة شفافة من الضباب، البيوت حمراء، وكل تلك الألوان ورائحة المكان غريبة ، ما أكثر الماء هنا و ما أرحب الخضرة ، بيوت هذا عالم منظم ، الأصوات لها وقع نظيف في أذني مثل حفيف أجنحة الطير و حقوله و أشجاره مرسومة وفقا لخطة الجدران كذلك لم تتعرج بل تسيل بين شاطئان» هكذا كان وصف مصطفى سعيد لما سافر إلى لندن والذي يكشف عن الغرب[1] كما يكشف أيضا معالم الاستقرار و التطور لحضارة الغرب يقول البطل «كان شجر الصفصاف يبيض و يخضر و يصفر في الحدائق للربيع، أعماقي يغني ثلاثون عاما و قاعة ألبرت تعج كل ليلة بالعشاق ، كل عام مسرحيات برنارد شو تمثل في الرويال كورت، و المطابع تخرج آلاف الكتب في الفن و الفكر ،كانت ايدث ستول تغرد بالشعر و مسرح البرنس أف ويلز يفيض بالشباب والألق[2] ومنطقة البحيرات تزدهي عاما بعد عام،البحر في مده وجزره في بورتمث و بارتين.

وفي المقابل فلقد أثرت حضارة الغرب على شخصية مصطفى سعيد إلى حد أنه جعل غرفة بيته في السودان تشبه بيتا من البيوت الأوربية، و هذا دليل على تأثره بالغرب و ثقافتهم حيث قال «يا الهي الحيطان الأربعة من الأرض حتى السقف» يقول الراوي عن بيته الذي أندهش لرؤيته «هل هذا فعل إنسان أراد أن يبدأ صفحة جديدة ،يا له من مغفل ،كتب كتب كتب، رفوف، رفوف ؟ورفعت المصباح فإذا أرضية الغرفة كلها مغطاة بأبسطه فارسية ... مدفأة إنجليزية بكامل هيئتها وعدتها فوقها مظلة من النحاس أمامها مربع مبلط بالرخام الأخضر فوق رف المدفأة وعلى جانبي المدفأة كرسيان

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال ص97

[2] المصدر نفسه ص.ن

فكتوريان مكسوان بقماش من الحرير المشجر بينهما ، رخام أزرق السقف ، منضدة مستديرة عليها كتب و دفاتر تحكي عن الغرب و لا يوجد كتاب عربي واحد وفي الوسط قوس يفصل الحجرة نصفين ... و القوس عليه قشرة من خشب البلوط على اليمين ،نعم من ريش النعام الغشائي المزركش الحواف ... وسائد من ... لمستها بيدي [1] منضدة طويلة عليها شمعدان من الفضة فيه عشر شمع لم تلمسها النار قبلا هذه الأشياء التي أبقاها في بيته يريد أن يجعلها للذكرى و التذكر وهي تعبر عن تأثره بالغرب بفنه وهو من جهة أخرى ينظر له على أنه العدو الذي يجب الانتقام و النيل منه».

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال ص97

2-4 وصف الغرب وعداوته مع الشرق :

إن نظرة مصطفى سعيد إلى طبيعة العلاقة مع الغرب تبدو محكومة بالتجربة الاستعمارية رغم أن الرواية لا تهتم كثيرا بإيراد هذا النوع من التفاصيل المتعلقة بالتجربة، و مع ذلك فإن إدراك مصطفى المهموم بعمق الصدمة الاستعمارية، يدفعه إلى اختيار سلاح غريب، وتلعب عناصر العداء التاريخي دورا كبيرا لإشعال الحرب في عقر دار المستعمر.

والاصطدام المباشر بالرؤية الاستعلائية للمستعمر بارز في تأجيج هذه الحرب ويقول : « الطقسية التي يخوضها مصطفى سعيد في ساحة المعركة وقودها أجساد النساء، إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوروبي الأكبر الذي قال : مصطفى عن الغرب الذي أحتل أرضه «جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام، لم يشهد العالم مثيله من قبل في السوم و في فردان وهو يشير هنا إلى القتل والعلاقات و التي أصبحت عادة العربي [1] ألف عام يهان أو يغضب أو يفرغ عن نفسه و هو يصفها بالجرثومة لأنها هلكت به عندما قتل زوجته جين موريس، و أقام علاقته مع النساء و هي بمثابة خسارة له لأنه جاء للغرب ليغزوها بعلمه و هو في لندن، لم يأتي ليقتل و يحكم عليه بالسجن، لأنه قام بالسخرية من نساء الغرب حيث قال: « أنا قطرة من السم الذي حقنتم به شاريين التاريخ، إنني جئتكم غازيا في عقر داركم «المحكمة »فمصطفى إذن يعلم الغرب بأنه أتاهم غازيا منتقما و عطيل كان أكذوبة ،لست عطيل الذي احتلوا بلاده و هتكوا بها» .

كما نجد أيضا الراوي و هو المشارك في رواية مصطفى سعيد نلاحظه هو الآخر ينفر، من حيث يقوم في الصفحة الأولى من الرواية بالتعبير عن حنينه الدائم الملح الذي كان يشده للعودة« سبعة أ عوام و أنا أحن إليهم» إشارة غامضة إلى وعيه بالغرب و تجربته الذاتية حيث يقول : « ولم يمض وقت طويل حتى أحسست بشعور كان يذوب في داخلي، فرحو بي و ضحوا حولي، و أحلم بهم، فقدته زمانا في بلادي، فكأنني مقرور طلعت عليه الشمس، ذاك دفء الحياة في العشيرة».

[1] الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص137

إضافة إلى هذا نجد الراوي أنه تزوج امرأة واحدة، أما مصطفى سعيد فأقام علاقات كثر مع نساء كثيرات ، فهو رجل لامرأة واحدة امرأة غريبة وهو لا يهمه الحب و لم يحب أيه منهن إنما أراد العلاقة الجنسية، التي تعبر عن السخرية من الغرب بطريقة ملتوية و انتقاما منه لسنين العذاب الذي ذاقه أهله، فمثلا علاقته وصحوته الأولى مع آن هموند، يقول:

« وأمها من العوائل الثرية ، **و** أبوها ضابط في سلاح المهندسين كانت صيدا سهلا لقيتها وهي دون العشرين تدرس اللغات الشرقية في اكس فورد، وجهها ذكي مرح و عيناها تبرقان تحب الاستطلاع، رأتني شفقا داكنا كفجر كاذب كانت عكسي، انحني إلى مناخات استوائية،[1] وشموس قاسية، وآفاق أرجوانية، كنت في عينيها رمزا لكل هذا الحنين، و أنا جنوب يحن إلى الشمال والصقيع يجعل فريسته التي ينال منها ما اشتهاه، بعيدا عن الأخلاق و الذين الذي ينتمي إليه، غرفة نومي مقبرة تطل على حديقة رحبة، مخداتها من ريش النعام و أضواءها كهربائية صغيرة، وعلى الجدران مرايا كبيرة، في الغرفة رائحة الصندل، غرفة نومي كانت مثل غرفة عمليات في مستشفى ».

بعد ذلك توفيت آن هموند انتحارا بالغاز ووجدوا معها ورقة كتب عليها « لعنة الله عليك مستر سعيد[2]» امرأة كنت أعرف كيف أحركها لقد كان مصطفى سعيد يستدرج النساء بذكائه وجاذبيته إلا أن جين موريس لم تكن تعيره اهتمامها ولا تأبه به مما جعله يطاردها دون يأس لبث يطاردها ثلاثة أعوام ،كل يوم يزداد شغفه للنيل منها و تحقيق رغبته منها حيث يقول« في متاهة الشوق و السراب يلمع أمامي، وتر القوس تتوار قربي مملوءة هواء، وقوافلي ظمأى وذات يوم قالت لي : أنت ثور همجي لا و قد تحدد مرمى السهم و لا مفر من وقوع المأساة و بالفعل تزوجها [3]» ومن جريي أمامك تزوجني، إنني تعبت مطاردتك لي، هي الطريقة لكي ينال ما أراده و لكنه لم يبني شيئا فقد كانت لا تكل أو تمل من الصراع تزوجتها، الشجار معها في كل وقت ،نشيد عسكري روسي و في الصباح أرى

[1] الطيب صالح المصدر نفسه –ص137

[2] الطيب صالح – موسم الهجرة إلى الشمال ص34-35

[3] المصدر نفسه ص37

الابتسامة ما فتئت على المعركة بالقوس والسيف و الرمح و النشاب، [1]كأنني شهريار رفيق تشتريه في السوق بدينار، فاعلم أنني خسرت الحرب مرة أخرى».

أما مع شيلا غرينود «فكانت فريسة سهلة يقول عنها كما في حالة علاقته بإيزابيلا سيمور فكان السبيل إليها سهلا.

[1] المصدر نفسه ص 37

2-5 وصف الشرقي لموطنه في الشرق:

حملت نظرة الشرقي إلى شرقه أو إلى ابن بلده عدة ملامح في الرواية واختلفت من شخصية إلى أخرى تراوحت بين النظرة الإيجابية والسلبية. فمثلا نجد شخصية الراوي المشارك في الأحداث والصديق لمصطفى سعيد بطل الرواية هو الآخر قد أتم تعلمه في أوروبا وعاد إلى بلده و ستفقد موطنه وأهله بعد طول غياب لأنه لم يتحمل بقائه في بلاد الغرب أصله وعشيرته، المهم وهو بهذا الفعل لا ينكر أصله بل يعتز بالانتماء إليه والى جذوره العربية حيث يقول «المهم أنني عدت وبشوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية الصغيرة عند منحى النيل، سبعة أعوام وأنا أحن إليهم وأحلم بهم...تعودت أذناي أصواتهم، وألفت عيناي أشكالهم من كثرة ما فكرت فيهم في الغيبة[1]» .

ثم يواصل وصف بلده بمحبة فيقول« وأرخيت أذني للريح، ذاك لعمري صوت أعرفه له في بلدنا وشوشة مرحة... وسمعت هديل القمري، ونظرت من خلال النافذة إلى النخلة القائمة في فناء دارنا، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير، أنظر إلى جذعها القوي المعتدل و إلى عروقها الضاربة في الأرض والى الجريد الأخضر المنهدر فوق هامتها فأحس بالطمأنينة له، أحس أنني لست ريشة في مهب الريح ولكني مثل النخلة، مخلوق له أصل، له جذور، له هدف[2]»

بعد ذلك تخطر في باله أفكار تجعله هنا يؤكد انتمائه وعشقه لبلده ووطنيته والشعور بالامتنان والاستقرار وهو ما يجعله يفكر بصورة تغير قريته إلى الأحسن والأفضل حيث يقول« إنني أريد أن آخذ حقي من الحياة عنوة، أريد أن أعطي بسخاء، أريد أن يفيض الحب من قلبي فينبع و يثمر، ثمة آفاق كثيرة لا بد أن تزار، كتب كثيرة تقرأ[3]» .

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص5

[2] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص5-6

[3] المصدر نفسه ص.ن

و بعد ذلك يرى الراوي حياة أبناء البلد و هم يعملون في حقولهم بكل عزم و قوة فيحس بالطمأنينة و الاستمرار يقول «و أنظر إلى النهر بدا ماؤه يريد الطمي... و إلى الرجال قاماتهم متكئة على المحاريث أو منحنية على المعاول، و تمتلأ عيناي بالحقول المنبسطة كراحة اليد إلى طرف الصحراء، حيث تقوم البيوت، أسمع طائر يغرد، أو كلبا ينبح أو صوت فأس في الحطب وأحس بالاستقرار وأحس أنني مهم و أني مستمر و متكامل[1]».

فالراوي هنا لا يخجل من انتمائه لبلده إنما يقود فيه الإحساس بالأمان كما نجد مصطفى سعيد هو الآخر يمدح بلده فيقول للراوي« فالحياة في هذا البلد هينة خيرة،الناس طيبون عشرتهم سهلة» ثم بعد ذلك يضيف الراوي يقول أنه بالرغم من بقاءه في الغربة مدة طويلة إلا أنه لم ينسى أصله ولم ينسى وجوه أهله في السودان مطلقا و لا يحس بفرق كبير بين أوروبا وبلده ذلك لأنه متأكد ولا شيء يلهيه عن نسيان وطنه.

ألتفت أحيانا في أشهر الصيف في لندن إثر هطلة مطر كنت أشم رائحتها في لحظات خاطفة قبيل مغيب الشمس، كنت أراها في أخريات الليل ... الوجوه هناك كنت أتخيلها قمحية أو سوداء فتبدو وجوها لقوم أعرفهم، هناك مثل هنا ليس أحسن ولا أسوأ ،كما أن النخلة القائمة في فناء دارنا، تنبت في دارنا و لم تنبت في دار غيرنا وكونهم جاءوا إلى ديارنا و لا أدري لماذا أنهم سيخرجون من بلادنا عاجلا أم آجلا...وسنتحدث لغتهم دون إحساس بالذنب و لا إحساس بالجميل سنكون كما نحن قوم عاديون»[2].

الراوي هنا يؤكد على أن المستعمر الذي احتل أرضه يخرج منها مهما كان الثمن وسنبقى أناسا بسطاء ولا نقلد أحدا ولا يغرينا شيء إطلاقا، ثم يصف الراوي علاقته بجده والتي تقوي فيه الإحساس بالأمن والأمان

[1] المصدر نفسه ص13

[2] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال52-53

«حين أعانقه استنشق رائحته الفريدة التي هي خليط من رائحة الضريح الكبير في المقبرة ورائحة الطفل الرضيع وذلك الصوت النحيل المطمئن يقوم جسرا بيني وبين الساعة القلقة التي لم تتشكل بعد نحن بمقاييس العالم الصناعي الأوربي فلاحون فقراء ولكنني حين أعانق جدي أحس بالغنى كأنني نغمة من دقات قلب الكون نفسه»[1].

فالراوي هنا لا يهمه إن كان فقيرا، فالمهم عنده هي الصداقة الوطيدة التي كونها مع جده، وهي أغلى ما في الكون بأسره ثم يشير الراوي إلى بيت جده العتيق الذي يعبر عن التواضع و الافتخار بأصله يقول:

« هذه الدار الكبيرة ليست من الحجر و لا الطوب الأحمر، و لكنهما من الطين نفسه الذي يزرع فيه القمح... وهي دار فوضى قائمة دون نظام اكتسبت هيأتها هذه على مدى أعوام طويلة حيطانها ملساء مطلية بمادة، هي خليط من الرمل الخشن و الطين الأسود و زبالة البهائم كذلك الأسطح من جدع النخيل و خشب السنط وجريد النخل دار متاهة باردة في الصيف دافئة في الشتاء لكنها تغالب الزمن بشيء كالمعجزة» فدار الجد هذه إذن تعبر عن أصله البسيط و هو لا يخجل به

و إنما يعتز به و كذلك أشيائه التي يفتخر بها حيث يقول عنها الراوي:

«الفروة التي يصلي عليها وحين يشتد البرد يستعملها غطاء عبارة عن جلود ثلاثة مخيطة في جلد واسع و إبريق من النحاس عليه تصاوير و نقوش، و له طشت من النحاس أيضا و هو يفتخر بمسبحته لأنها من خشب الصندل ويداعب حباتها و يمسح بها وجهه و يستنشق رائحتها».

فالجد إذ يحتفظ بأشيائه القديمة التي هي تعبر عن هويته العربية هذا الإنسان الشرقي جد الراوي بالرغم من مرور السنين و تطور الأجهزة و الآليات المختلفة إلا أنه ضل محافظا على بيته العتيق و أشياءه القديمة و التي تشهد على تاريخه وحياته و تواضعه فلا تهمه المادة ولا يغره شيء مطلقا فالمهم عنده

[1] المصدر نفسه ص77

أنه عربي و يفتخر بكونه منتسب إلى بلاده العربية، و مقابل بيت جد الراوي العتيق يقابله الراوي بقاعة الاستقلال التي بنيت بتدارس مصير التعليم في إفريقيا، التي كلفت الملايين حيث أنه يصف سادة إفريقيا الجدد و يقول عنهم«ملس الوجوه أفواههم كأفواه الذئاب، تفوح نواصيهم برائحة العطر في أزياء بيضاء و زرقاء و سوداء و خضراء من الموهير الفاخر والحرير الغالي، تنزلق على أكتافهم كجلود القطط السيامية والأحذية تعكس أضواء الشمعدانات تصر صريرا على الرخام [1]» فسادة إفريقيا هؤلاء، يعيشون في النعيم في مقابل أبناء الشعب اللذين مازالوا في الفقر و التخلف. فالراوي إذن يشير إلى فساد الحكومة العربية و تدني أوضاع شعبه اللذين مازالوا في التخلف يعانون من غلاء المعيشة، و يضيف ويقول عن قاعة الاستقلال والأشياء التي جهزت فيه، صرح من الحجر والإسمنت و الرخام و الزجاج مستديرة كاملة الاستدار وضع تصميمها في لندن ردهاتها من رخام أبيض جلب من إيطاليا ، قطع صغيرة مصفوفة بمهارة في شبكة من خشب التيك، أرضية القاعة مفروشة بسجاجيد عجمية فاخرة ، والسقف على شكل قبة مطلية بماء الذهب و تتدلى من جوانبها شمعدانات كل واحد منها بحجم الجمل العظيم من رخام أحمر كالذي في قبر نابليون في الأنفاليد وسطحها أملس لامع من خشب الأينوس على الحيطان لوحات زيتية وقبالة المدخل خريطة واسعة لإفريقيا من المرمر الملون كل قطر بلون[2]».

ثم يقول الراوي عن الوزير الذي ألقى خطابه الزائف عن مستقبل التعليم في إفريقيا:

« هذا الرجل بعينه يهرب أشهر الصيف من إفريقيا إلى قبلته على بحيرة لوكا نور، وأن زوجته تشتري حاجياتها من لندن تجيئها، في طائرة خاصة أن أعضاء وفده أنفسهم يجاهرون بأنه فاسد مرتش ضيع الضياع وأقام تجارة وعمارة، وكون ثروة فادحة من قطارات العرق التي تنضح على جباه المستضعفين، إنصاف العراة في الغابات هؤلاء قوم لا هم لهم إلا بطونهم و فروجهم[3]».

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص 120

[2] المصدر نفسه ص121

[3] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص 121-122

فالراوي ، فهم بهذا الفعل إذ يقلدون الغرب و يعيشون على حساب الشعب الضعيف.فالراوي هنا يشير إلى وجود طبقات في البلد «لا يوجد عدل في الدنيا ولا اعتدال[1]» ثم يقول عن مصطفى سعيد أنه لو عاد عودة طبيعية لانضم إليهم وأن كلهم يشبهون بعضهم البعض ويفهم من كلام الراوي أن سادة إفريقيا هؤلاء تخلو عن أصالتهم فلم يعد هناك شرق أو شرقي لأنهم يقلدون الغرب في لباسهم وطرائقهم في العيش صاروا يؤمنون بحضارة الغرب فقط.

[1] المصدر نفسه ص122

6-2 – أسباب احتقار الغرب للشرق:

لقد حمل الغربي مشاعر الحقد والضغينة والاحتقار للإنسان الشرقي فهو لا يتحمل أن يتفوق عليه أو أن يكون أعلى منه مستوى ومرتبة ذلك أنه يعتبر نفسه السيد والمهيمن والمتطور ولولا وجوده لما استطاع الشرقي العربي أن يكتسب العلم والمعرفة وقوت عيشه باعتباره شعب متخلف يؤمن بالخرافات و الأحلام .حيث يقول الرجل الإنجليزي عن مصطفى سعيد :

« أنني قرأت بعض ما كتب عما أسماه اقتصاد الاستعمار الصفة الغالبة على كتاباته أن إحصائه لم يكن يوثق به[1]».

كان ينتمي إلى مدرسة الاقتصاديين الفابيانيين الذين يختفون وراء ستار التعميم هروبا من مواجهة الحقائق المدعمة بالأرقام الاشتراكية ،المساواة ،العدالة مجرد كلمات رجل الاقتصاد ليس كاتبا كتشارلز دكنز ولا سياسيا كروزفلت إنه أداة آلة لا قيمة لها بدون الحقائق و الأرقام و الإحصائيات ليست في حاجة إلى مزيد من رجال ثم بعد ذلك يسأله الراوي إن كان يعرفه فيجيبه أنه سمع عنه:

« يظهر أنه كان زير نساء خلق لنفسه الرجل الأسود الوسيم المدلل في الأوساط البوهيمية.... ويقال أنه كان صديقا للورد فلان و لورد علان وكان أيضا من الأثيرين عند اليسار الإنجليزي ذلك من سوء حظه، لأنه يقال أنه كان ذكيا، لا يوجد على وجه الأرض أسوا من الاقتصاديين واليساريين[2]».

وهكذا يواصل ريتشارد في التقليل من شأن مصطفى سعيد، و اتهاماته له ثم يصف بلده بأنه تحكمه الخرافات والأوهام وأنهم يحلمون بتحقيق الحرية والوحدة العربية دون جدوى لأنهم عاجزين ويفتقدون القوة و المعرفة حيث يقول:

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص61

[2] المصدر نفسه ص 62

« لو أنه فقط تفرغ للعلم لوجد أصدقاء حقيقيين من جميع الأجناس ولكنتم سمعتم به هنا كان قطعا سيعود ينفع بعلمه هذا البلد الذي تتحكم فيه الخرافات،ها انتم الآن تؤمنون بخرافات من نوع جديد خرافة التصنيع الإفريقية خرافة الوحدة الإفريقية، الوحدة العربية، خرافة التأميم أنكم كالأطفال تؤمنون أن في جوف الأرض كنزا سوف ستحصلون عليه بمعجزة ستحلون جميع مشاكلكم و تقيمون فردوسا أحلام يقضه ، أوهام عن طريق الحقائق والأرقام والإحصائيات يمكن أن تقبلوا واقعكم وتتعايشوا معه وتحاولوا التغيير في حدود طاقاتكم [1]».

ثم بعدها قال ريتشارد يقوم زميل الراوي منصور يفند آراءه ثم يخلد الراوي إلى أفكاره ويقول:

« لعلنا نؤمن بالخرافات التي ذكرها ، لكنه يؤمن بخرافة جديدة،خرافة عصرية خرافة الإحصائيات مادمنا سنؤمن بالله، فليكن إلها قادرا على كل شيء ما الإحصائيات لرجل لمجرد أنه حكمنا في حقبة من تاريخنا سيظل أمدا طويلا يحس نحونا بإحساس الاحتقار الذي يحسه القوي تجاه الضعيف[2]».

و قول الراوي هذا إنما نابع من قبل شرقي أصيل بعيدا عن الكفر والإلحاد والشرك بالله ،فالراوي لاتهمه المادة إنما يهمه دينه وهويته ويرى أن المحتل يظل دائما يعلي من شأنه ويحط من شان العرب أو الأضعف منه ثم يواصل كلامه و يقول مصطفى سعيد :

« أنني جئتكم غازيا كان عملا ميلود راميا يتحول مع مرور الزمن إلى خرافة عظمى[3]» فالراوي هنا يرى مجيء استعمار هو فقط ليظهر تفوقه و قوته وهيمنته على الضعيف ليس إلا».

وبعد دلك يقول منصور لريتشارد:

«لقد نقلتم إلينا مرض اقتصادكم الرأس مالي، ماذا أعطيتمونا غير حفنة من الشركات الاستعمارية

[1] الطيب صالح موسم الهجرة الى الشمال ص 62-63

[2] المصدر نفسه ص 63

[3] المصدر نفسه ص ن.

نزفت دماءنا و لا تزال ؟

وقال له رتشارد:

« كل هذا يدل على أنكم لا تستطعون الحياة بدوننا. كنتم تشكون الاستعمار، ولما خرجنا خلقتم أسطورة الاستعمار. إن وجودنا بشكل واضح أو مستتر ضروري لكم كالماء والهواء[1]» .

تفصل بينهما هوة تاريخية ليس لها قرار. و هكذا بقي منصور و رتشارد يردان على بعضهما.

وعليه فإن نظرة الغرب إلى الشرق عموما تشوبها الكراهية والازدراء والاحتقار باعتباره شعب متخلف في مقابل هو شعب متطور و متفوق عليه .

[1] المصدر نفسه ص 63

2-7 نهاية الرحلة :

في نهاية المطاف و بعد مرور الكثير من المنعرجات و الأحداث في حياة مصطفى سعيد تنتهي الرحلة وينتهي معها علاقة الشرق مع الغرب و التي يمثلها مصطفى مع الأنثى الأجنبية .

هذه الأخيرة "جين موريس "التي تسببت في مقتلها ،وذلك لعدم طاعتها لزوجها مصطفى الإهانات المتواصلة والتي تجرح مشاعره وكبريائه والصراع المتواصل بينهما و ذلك لعدم المثول لرغبته واملاءاته حيث يقول:

«كنت أجدها في كل حقل لرغبتي و املاءاتي التي تزداد كل يوم، أردت أن أراقصها فقالت لي : لا أرقص معك، تذهب إليه ،كأنها تتعمد أن تكون حيث أكون لتهينني صفعتها على خدها فركلتني بساقها و عضتني في ذارعي بأسنانها كأنها أسنان لبوؤة ولو كنت الرجل الوحيد في العالم كانت تكذب حتى في أبسط الأشياء تعود إلى البيت بقصص غريبة عن أشياء حدثت لها و أناس قابلتهم لا يمكن أن يصدقها العقل ،لأنها كانت عديمة الأهل ،كأنها شهرزاد متسولة[1]» .

تتواصل الأحداث إلى أن يقرر اجتنابها، ورغم كراهيتها له إلا أنها تهتم لأمره وتحاول إ غراءه لكن دون أن تقيم علاقة معه وذلك لتهذيبه و قهره لأنه أحبها ولا يستطيع الوصول إليها قال: «ولكنها وجدت طريقها إلى بيتي... هذه المرأة هي قدري و فيها هلاكي، و لكن الدنيا لا تساوي عندي حبة خردل في سبيلها. أنا الغازي الذي جاء من الجنوب و هذا هو ميدان المعركة الجليدي الذي لن أ عود منه ناجيا أنا الملاح القرصان و جين موريس هي ساحل الهلاك لكنني لا أبالي[2]».

وتتواصل الأحداث إلى أن يقرر قتلها يقول: «هاهي ذي سفني يا حبيبتي تبحر نحو شواطئ الهلاك، ملت عليها وقتلتها يقول «وضعت حد الخنجر في صدرها، و ضغطت ببطء، فتحت عينيها هذه العيون بدت لي أجمل من كل شيء في الوجود قالت بألم :

[1] الطيب صالح موسم الهجرة الى الشمال ص 157

[2] المصدر نفسه ص162

« ظننت أنك لن تفعل هذا أبدا كدت أيأس منك وضغطت الخنجر بصدرها حتى غاب كله في صدرها ،و أحسست بدمها الحار ينفجر من صدرها وهي تصرخ متوسلة "تعال معي تعال ،لا تدعني أذهب وحدي ،وقالت لي أحبك ،فصدقتها و قلت لها: أحبك و كنت صادقا ونحن شعلة من اللهب و الكون بماضيه و حاضره و مستقبله اجتمع في نقطة واحدة ليس بعدها شيء [1]».

هكذا كانت نهاية زوجته بعد حياة زوجية فاشلة انتهت بالموت و في المحكمة اعترف بجريمته وحكم عليه بالسجن سبع سنوات و ذلك عندما استجوبه المدعي العمومي سير آرثر قائلا:

«هل قتلت جين موريس ؟نعم قتلتها عمدا نعم [2]».

وهكذا كانت نهاية رحلته مع الغرب بعدما قتل جين موريس لما يدل على أنه قتل في نفسه أوروبا لكي يتخلص منها نهائيا .وتبدو وجهة نظر مصطفى رغم مرورها بمصفاة الراوي تبدو بارزة مهيمنة تتمثل في نزعة جبرية للرد على غزو الغرب الاستعماري للشرق ،فمن خلال انتهاك أجساد النساء الانجليزيات يعتقد مصطفى سعيد أنه يحقق الانتصار و من خلال الكتابة عن اقتصاد الاستعمار يرى مصطفى أن حربه مع الاستعمار تنتهي لكن هذه الدائرة الجهنمية من شكل العلاقة مع المستعمر تنتهي بالموت و القتل موت النساء اللواتي احتل أجسادهن ومزق أرواحهن وقتله لجين موريس زوجته.

و بعد أن أنهى مصطفى سعيد فترة محاكمته عاد إلى بلده السودان و إلى قريته الفقيرة ،يقول عنه الراوي و هو العائد أيضا من الغربة والذي رآه صدفة لم يعرفه«رجل ربعة القامة ،في نحو الخمسين أو يزيد قليلا ،شعر رأسه كثيف مبيض ،ليست له لحية و شارب أصغر قليلا من شواربي، وثم يسأل عنه جده فيقول له :

« رجل من نواحي الخرطوم رجل وسيم جاء إلى البلد مند خمسة أعوام بالمال و اشترى أرضا تفرق

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص 166 -167

[2] المصدر نفسه ص36

وارثوها، و لم تبق منهم إلا امرأة، فأغراها، واشتراها منها، ثم قبل أربعة أ عوام زوجه محمود إحدى بناته أظنها حسناء... إن مصطفى طول إقامته في البلد لم يبدو منه شيء منفر وأن مصطفى في البلد يحضر صلاة المسجد بانتظام و تمر الأيام و يسعى الراوي لمعرفة سره وأنه يسارع بذراعه وقدحه للأفراح والأتراح». هذا الرجل لأنه يراه أنه يختلف عن أبناء البلد ذلك أنه متأدب وملامحه توحي بالغربة .

2-8- عنصر التشويق والغموض في الرواية:

مرة دعيت لحضور اجتماع لجنة المشروع الزراعي فوجدت مصطفى بينهم يقترح عليهم و يعطي لهم الحلول «دخلت عليهم، وكان مصطفى بينهم وهو ليس منهم ويقول يبحثون أمرا يتعلق بتوزيع الماء على الحقول ويبدو أن بعض الناس منهم من هو عضو في اللجنة ،كانوا يفتحون الماء في حقولهم قبل الموعد المحدد، واحتد النقاش وتصايحوا بعضهم على بعض و فجأة رأى مصطفى يهب واقفا يهدأ اللغط، و استمعوا إليه باحترام زائد فقال مصطفى:

«إن الخضوع للنظام في المشروع أمر مهم وإلا اختلطت الأمور وسادت الفوضى و إن على أعضاء اللجنة خاصة أن يكونوا قدوة حسنة لغيرهم فإذا خالفوا القانون عوقب بقية الناس ولما فرغ من كلامه هز أغلب أعضاء اللجنة رؤوسهم استحسانا وصمت أن عناهم الكلام [1]» .

هكذا و بعد مرور أسبوع، و بدعوة من محجوب صديق الراوي إلى جلسة شراب, دخل مصطفى فأصر عليه أن يشرب معهم حتى قبل بذلك، وراح مصطفى يشرب دون توقف. دفن مصطفى قامته في المقعد و راح يشرب الكأس تلوى الأخرى حتى كشف عن أسراره، يقول عنه الراوي:

«ومدد رجليه، وأمسك الكأس بكلتا يديه، وسرحت عيناه،كما خيل لي، في آفاق بعيدة ثم فجأة سمعته يتلو شعرا إنجليزيا بصوت واضح ونطق سليم :هؤلاء نساء فلاندرز ينتظرن الضائعين

ينتظرن الضائعين الذين أبدا لن يجيء بهم القطار، إلى أحضان هؤلاء النسوة، ذوات الوجوه الميتة، ينتظرن الضائعين، الذين يرقدون موتى في الخندق والحاجز والطين في ظلام الليل, هذه محطة تشارنغ كروس، الساعة جاوزت الواحدة، ثمة ضوء ضئيل، تمت ألم عظيم [2] » .

وبعد سماع الراوي ما قاله مصطفى ذعر وأصابه الهلع لما قاله ،وأراد إيقاظه من سكره، فقام مصطفى

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص 16

[2] المصدر نفسه ص17-18

ودفعه وخرج مرفوع الرأس وفي اليوم التالي أراد الراوي معرفة الحقيقة، فأنكر ما قاله، ولكن الراوي واثق أن وراءه سر عظيم لذلك لم ييأس وظل وراءه حتى أطلعه بالحقيقة قال مصطفى:

«إنني أقسم لك بأن شيئا مما سأقوله لك لن يؤثر على وجودي في هذا البلد ،إنني رجل في كامل عقلي مسالم أحب هذا البلد ولا أكن لأهله إلا الخير[1]».

و بعدما أعطى للراوي وثائق تخصه و جوازات سفره بها أختام كثيرة فرنسية وألمانية وصينية و دنماركية وأنه من مواليد الخرطوم و يتيم الأب، وبعد معرفة هويته أثار فضوله لمعرفة المزيد، فأخذ الأوراق التي أعطاه إياها مصطفى وراح يقرأها بتمعن تحكي قصة حياته و هكذا بدأت الحقيقة تتضح، و تمر الأيام و في شهر يوليو بالتحديد فاض النيل عن حده و غمر البيوت والحقول.

و في ذلك اليوم بالتحديد مات مصطفى غرقا و أخد الناس ينتقلون إلى بيوتهم و حقولهم في قوارب و يبحثون عنه وفي النهاية لم يستطع أحدا العثور عليه، فجزموا بأنه قد توفي يقول الراوي:

« لا بد أنه قد مات غرقا أو أن جثمانه قد استقر في بطون التماسيح التي يغص بها الماء في تلك المنطقة[2]».

و بعد أن مات مصطفى ترك رسالة للراوي يوصيه فيها بعائلته و أملاكه يقول:

« إني أترك زوجتي وابني و كل مالي من متاع الدنيا في ذمتك و أنا أ علم أنك ستكون أمينا على كل شيء....و أنا أترك لك تقدير الوقت المناسب لتعطي ولداي مفتاح الغرفة و تساعدهما على إدراك حقيقة أمري... حسن الظن هو آخر ما أرمي إليه ... إذ نشآ مشبعين بهواء هذا البلد و روائحه وألوانه و تاريخه ووجوه أهله ذكريات فيضاناته و حصاداته و زراعاته فإن حياتي ستحتل مكانها الصحيح كشيء له معنى ... إنني لا أدري أي العملين أكثر أنانية بقائي أم ذهابي ومهما يكن فإنه

[1] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص21

[2] المصدر نفسه ص 50

لا حيلة لي، ولعلك تدرك قصدي...لا جدوى من خداع النفس، ذلك النداء البعيد لا يزال يتردد في أذني وقد ظننت أن حياتي و زواجي هنا.. و لكن لعلي خلقت هكذا أو أن مصيري هكذا ... وحسرتي إذا نشأ ولداي أحدهما أو كلاهما وفيهما جرثومة هذه العدوى، عدوى الرحيل[1]».

فمن خلال هذه الرسالة يقرر مصطفى الانتحار تاركا عائلته أمانة في رقبته ذلك أنه تعود السفر طول حياته و لم يستطع أن يعيش مدة أطول في قريته السودانية ،فهو إذن جرده المجتمع الغربي من الحب والمقدرة على الحب فأصبح إنسانا خاويا أفسدته أوروبا وسرعان ما استرد الغرب منه ما أعطاه إياه وتركه هشيما ،أبهرته نساء أوروبا وتهافتت عليه إلا أن زير النساء لا يستطيع أن يبني وطنه و لا أن يستفيد من علمه ، و إنما يبني الوطن إنسان قادر على المحبة و العطاء و مادامت في داخله روح الانتقام للغرب فإنه لا يستطيع أن يكمل حياته و طموحاته و أن يحقق ما أراده وسعيه للوصول إلى المراتب الأولى .

وقاد قال له القاضي :

« قبل إصداره الحكم بالسجن لقتله زوجته إنك يا مستر مصطفى سعيد رغم تفوقك العلمي رجل غبي إن في تكوينك الروحي بقعة مظلمة لذلك فإنك قد بددت أنبل طاقة للناس، طاقة الحب يمنحها الله ،والقاضي هنا يشير إلى أنه أراد الانتقام فقط و لا قيمة للحب عنده ذلك أن زوجته ترفض الرضوخ له و لرغباته الجنسية .و كذلك نلاحظ ذلك الفعل الذي أقدم عليه مصطفى ألا وهو القتل و العلاقات الجنسية في الغرب،مجسدا أيضا في قريته من خلال شخصية ود الريس الذي يحب إقامة العلاقات مع النساء و خداعهن و أيضا فعل القتل ،حين أقدم على قتل زوجته (أرملة مصطفى سعيد).

و عليه فإن الراوي يطرح من خلال روايته هذه الإشكالية إشكالية الجنس من خلال ممارسات مصطفى في أوروبا ود الريس في القرية و كذلك يطرح قضية الموت, موت الأنثى و هو موت آثم

[1] المصدر نفسه ص69-70-71

يرتبط في أكثر معانيه بغريزة الجنس و لا يخلو من عنف أو موت الرجل أيضا .وهكذا تموت حسنة زوجة ود الريس لأنها ترفضه و ترفض الانصياع لرغبته فهي لا تحبه ،فيقرر هذا الأخير أخذها بالقوة فتقدم عندئذ إلى قتله و يبادر إلى قتلها و هكذا تنتهي حكايته و مغامرته وجدناهما في غرفة ود الريس القصيرة المطلة على الشارع ،كان المصباح موقدا فقاموا و كفنوهما ثم دفنوهما ولم يخبروا أحدا من أهل القرية بشيء و لكن العجيب في الأمر أن زوجته الأخرى مبروكة لم تحزن و لم تتعجب وراحت تقول: «يا نساء كل واحدة تروح في حالها »تشرب قهوتها بكل راحة ومنعت النساء أن يبكين عليه فقالت:

« وهكذا ود الريس حفر قبره بيده وبنت محمود بارك الله فيها خلصت من القديم و الجديد» تتخلص حسنة من ود الريس و ذلك أنها لا ترغب به و لا تريده زوجا لها فهي تحب الراوي الذي أوصاه زوجها المتوفى بها. و الراوي أيضا يحبها و لم يبادر بأية خطوة تجاهها ولم يبح للعالم وفجأة انقلب بمشاعره ، ولهذا حصل ما حصل ،حيث يقول و هو متحصر و حزين أسا على عقب الحب؟

الحب لا يفعل هذا إنه الحقد. أنا حاقد و طالب ثأر و غريمي في الداخل إن مبدأ اللذة كما تتجلى في ممارسات مصطفى سعيد في لندن و تجارب ود الريس في القرية قد ارتبط في الرواية بالانتحار والقتل و عليه فإن الراوي في الأخير سئم من القراءة لم تكن صدفة أنه أثار أوراق مصطفى و المضي في هذه المهزلة التي تحكي قصة حياته حيث قال الراوي: « قص علي قصة حياته غير كاملة لكي أكتشف أنا بقية القصة لم تكن صدفة أنه ترك لي رسالة مختومة بالشمع الأحمر إمعانا منه في شحذ خيالي و أنه جعلني وصيا على ولديه ليلزمني إلزاما لا فكاك منه ، و أنه ترك لي مفتاح متحف الشمع هذا ،لا حد لأنانيته و غروره ،فهو رغم كل شيء يريد أن يخلده التاريخ إنما أنا لا أملك متسعا من الوقت». وهكذا فإن الراوي أنهى هذه المهزلة و رأى أنها أ عمال لا معنى لها و أراد التنفيس عن غضبه بالسباحة وفجأة و بقوة لا أدري من أين جاءتني رفعت قامتي في الماء،سمعت دوي النهر حيث يقول« فإذا أنا في منتصف الطريق بين الشمال و الجنوب وطقطقة مكنة الماء .تلفتت يمنة ويسرة لن

أستطيع المضي و لن أستطيع العودة ، انقلبت على ظهري و ظللت ساكنا أحرك ذارعي وساقي بصعوبة بالقدر الذي يبقيني طافيا على السطح ،كنت أحس بقوى النهر الهدامة تشبتني إلى الأسفل وبالتيار يدفعني إلى الشاطئ الجنوبي في زاوية توازني مدة طويلة[1]».

و بما أن الرحلة إلى الشمال يعاد تمثيلها رمزيا في الفصل الأخير من الرواية ،فإن كلام الراوي عن السباحة نحو الشاطئ الشمالي و عزمه على بلوغ الشاطئ الشمالي و تلفته يمنة و يسرة لن يستطيع في منتصف الطريق بين الشمال و الجنوب لا يستطيع العودة , فإذا هو كل ذلك يعبر عن محاولة إيجاد أجوبة لأسئلة العلاقة بالغرب و الهوية و العلاقة بين عودة الذات و الآخر ،و هي الأسئلة التي لم يستطع مصطفى سعيد الإجابة عنها يقول:«و في المقابل سأحيى لأن ثمة أناسا قليلين أحب أن أبقى معهم أطول وقت».اكتفى الراوي بحل سريع يقول: «ممكن لأن علي واجبات يجب أن أؤديها لا يعنيني إن كان للحياة معنى إذا كنت لا أستطيع أن أغفر فسأحاول أن أنسى سأحيى بالقذارة والمكر[2]» .حتى و إن لم يكن لها معنى .

وهكذا يقرر الراوي أن يعطي لنفسه فرصة أخرى ليعيش ويحيى مع الناس الذين أحبهم وأحبوه يكمل بقية حياته مع أسرته وأهله وبلده، ويعمل بكل ما أوتي من قوة و جهد لكي لا ينقصهم شيء مادام على قيد الحياة، تاركا الماضي وراءه دون الالتفات إليه، وسعيا لمستقبل أزهر لأهله ووطنه الذي يعشقه. و الراوي هنا عكس مصطفى سعيد الذي اختار لنفسه نهاية مأساوية انتهت بانتحاره ولم تستفد السودان من عمله وخبرته، ذلك أن البلد الذي استوعبته هي"إنجلترا" استفادت منه لا بلاده ، وانتقامه من الغرب لم يأتي بثماره ذلك أنه فشل و عاد خائبا و ضعيف.

[49] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص169-170

[50] الطيب صالح موسم الهجرة إلى الشمال ص170-171

الملحق

1- ترجمة المؤلف:

الطيب صالح (12 يوليو 1929 - 18 فبراير 2009)، اسمه الكامل الطيب محمد صالح أحمد هو أديب وصحفي سوداني، يُعَد واحد من أشهر الأدباء العرب في القرن العشرين. اشتُهِر في الرواية والقصص القصيرة؛ فأطلق عليه النقاد لقب "عبقري الرواية العربية".

عاش في بريطانيا وقطر وفرنسا. عمل الطيب صالح كصحفي لدى إذاعة بي بي سي البريطانية وللعديد من المجلات العربية، كما كان عضوا في منظمة اليونسكو. عُرِفَ بروايته موسم الهجرة إلى الشمال (1966) والتي تعتبر من أهم الروايات في الأدب العربي. تُرجمت رواياته وقصصه القصيرة إلى ما يزيد عن عشر لغات.

وُلِد الطيب في إقليم مروي شمالي السودان بقرية كَرْمَكوْل بالقرب من قرية دبة الفقراء وهي إحدى قرى قبيلة الركابية التي ينتسب إليها، عاش مطلع حياته وطفولته في إقليم مروي. هو الوحيد الذي حصل على الثانوية العامة من المنطقة، فانتقل إلى ولاية الخرطوم لإكمال دراسته، ذهب لدراسة تخصص الزراعة من كلية غوردون التذكارية، جامعة الخرطوم لكنه لم يكمل دراسته في النهاية. عَمِل مدرساً للصفوف الإعدادية لفترةٍ من الزمن حتى سافر إلى إنجلترا ليواصل دراسته في جامعة لندن، وغيّر تخصصه إلى دراسة الشؤون الدولية السياسية.

1-1 الحياة المهنية:

تنقل الطيب صالح بين عدة مواقع مهنية، فعدا عن خبرة قصيرة في إدارة مدرسة، عمل الطيب صالح لسنوات طويلة من حياته في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية، وترقّى فيها حتى وصل إلى منصب مدير قسم الدراما، وبعد استقالته من البي بي سي عاد إلى السودان وعمل لفترة في الإذاعة السودانية، ثم هاجر إلى دولة قطر وعمل في وزارة إعلامها وكيلاً ومشرفاً على أجهزتها. عمل بعد ذلك مديراً إقليمياً بمنظمة اليونيسكو في باريس، وعمل ممثلاً لهذه المنظمة في الخليج العربي. ويمكن القول أن حالة الترحال والتنقل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب أكسبته خبرة واسعة بأحوال الحياة والعالم وأهم

من ذلك أحوال أمته وقضاياها وهو ما وظفه في كتاباته وأعماله الروائية وخاصة روايته العالمية موسم الهجرة إلى الشمال.

كتاباته تتطرق بصورة عامة إلى السياسة، وإلى مواضيع أخرى متعلقة بالاستعمار، والمجتمع العربي والعلاقة بينه وبين الغرب. في أعقاب سكنه لسنوات طويلة في بريطانيا تطرّقت كتاباته إلى الاختلافات بين الحضارتين الغربية والشرقية. الطيب صالح معروف كأحد أشهر الكتاب في يومنا هذا، لا سيما بسبب قصصه القصيرة، التي تقف في صف واحد مع جبران خليل جبران، وطه حسين، ونجيب محفوظ كتب الطيب صالح العديد من الروايات التي تُرجِمت إلى أكثر من ثلاثين لغة وهي «موسم الهجرة إلى الشمال» و«عرس الزين» و«مريود» و«ضو البيت» و«دومة ود حامد» و«منسي». تعتبر روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" واحدة من أفضل مائة رواية في العالم. وقد حصلت على العديد من الجوائز. و قد نشرت لأول مرة في أواخر الستينات من القرن العشرين في بيروت وتم تتويجه ك"عبقري الأدب العربي" في عام 2001 تم الاعتراف بكتابه من قبل الأكاديمية العربية في دمشق على أنه صاحب "الرواية العربية الأفضل في القرن العشري".

أصدر الطيب صالح ثلاث روايات وعدة مجموعات قصصية قصيرة. حولت روايته "عرس الزين" إلى دراما في ليبيا ولفيلم سينمائي من إخراج المخرج الكويتي خالد صديق في أواخر السبعينات حيث فاز في مهرجان كانفي مجال الصحافة، كتب الطيب صالح خلال عشرة أعوام عموداً أسبوعياً في صحيفة لندنية تصدر بالعربية تحت اسم "المجلة". خلال عمله في هيئة الإذاعة البريطانية تطرّق الطيب صالح إلى مواضيع أدبية متنوعة. عاش في باريس لمدة عشرة أعوام حيث كان يتنقل بين مهن مختلفة، آخرها كان عمله كممثل اليونسكو لدول الخليج.

2.1- من أهم أعماله الأدبية:

الروايات:

- ❖ موسم الهجرة إلى الشمال عام 1966م.
- ❖ ضو البيت (بندر شاه): أحدوثة عن كون الأب ضحية لأبيه وابنه.
- ❖ عرس الزين عام 1969م
- ❖ مريود (الجزء الثاني من بندر شاه)، 1985م.

أعمال أخرى:

- ❖ نخلة على الجدول (قصة قصيرة).
- ❖ الأعمال الكاملة 1984م.
- ❖ دومة ود حامد: (مجموعة قصصية)، 1997م.
- ❖ منسي إنسان نادر على طريقته 2004م.
- ❖ المضيئون كالنجوم من أعلام العرب والفرنجة، 2005م.
- ❖ للمدن تفرد وحديث -الشرق- 2005م.
- ❖ للمدن تفرد وحديث -الغرب- 2005م.
- ❖ في صحبة المتنبي ورفاقه 2005م.
- ❖ في رحاب الجنادرية وأصيلة 2005م.
- ❖ وطني السودان 2005م.
- ❖ ذكريات المواسم 2005م.
- ❖ خواطر الترحال 2005م.
- ❖ مقدمات 2009م

هو عبارة عن كتاب من القطع المتوسط جمعت فيه مقدمات كتبها الطيب صالح لمؤلفات أدبية.

وبعد: سوف يبقى الطيب صالح وأعماله الروائية والقصصية ذخيرة لا تنضب لبحث الباحثين نقاداً كانوا أم مؤرخين، فهو عالم ثري مليء بقضايا إنسان العالم الثالث الذي آمن به الطيب صالح وعبر عن همومه.

3.1- جوائز باسمه:

جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي:

تمنح جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي في مجالات الرواية والقصة القصيرة والدراسات النقدية باللغة العربية الفصحى. تم الإعلان في فبراير من العام 2010 الإعلان عن جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي تقديرا للدور الكبير الذي قام به الروائي الطيب صالح في الثقافة العربية.

جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي هي جائزة أدبية حول الرواية والقصة القصيرة يقدمها مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي بمدينة أم درمان، وهي مخصصة للأعمال الروائية السودانية فقط، بدأت دورتها الأولى عام 2002

4.1- اقتباسات من كتبه:

"إنني أريد أن آخذ حقي من الحياة عنوة". "أريد أن أعطي بسخاء"، "أريد أن يفيض الحب من قلبي فينبع ويثمر"." ثمة آفاق كثيرة لا بد أنُ تُزار"، "ثمة ثمار يجب أن تقطف"، "كتب كثيرة تقرأ وصفحات بيضاء في سجل العمر"، سأكتب فيها جملاً واضحة بخط جريء." موسم الهجرة إلى الشمال".

"نحن بمقاييس العالم الصناعي الأوروبي"، "فلاحون فقراء، ولكنني حين أعانق جدي أحس بالغنى كأنني نغمة من دقات قلب الكون نفسه." موسم الهجرة إلى الشمال".

وفي الأخير وبصفة عامة نال الكاتب السوداني الطيّب صالح مكانة خاصة في الحقل الثقافي العربي، فهو قمّة بلا جدل، وترجع هذه المكانة التي يتمتعُ بها لكونه أسهم في إثراء المكتبات العربية بتحفٍ سرديّة في منتهى الجمال، وقد تنتظر الساحة الثقافية عقوداً طويلة قبل أنْ تسعد بكاتب من طينة الطيّب صالح الذي يكتبُ باقتدارٍ كبير. لا عجب إذا قلتُ إنّ ما جعله كاتباً كبيراً بصرف النّظر عن أناقة اللغة والأسلوب، وغنى المادّة الحكائية، وتفنّنه في بناء الشخصيات وتشييد معمار سرديّ يورّط المتلقي، هو لأنّه عالج قضايا كبيرة جداً حظيت باهتمامٍ واسع في فترة حياته، سيّما بعد انقضاء حقبة الاستعمار؛ الذي اقترف جرائم فظيعة في حقّ الدوّل المستعمرة. وسأقتصر على طرح قضيّة أثارت حملة منذ القرن التاسع عشر، بعدما غزت الجيوش الفرنسية بعض الدول العربية، فيما يسمّى بالحملات العسكرية ما بين 1798 و1801م، والتي قادها نابليون بونابرت بجسارةٍ وثبات، ليتفاجأ العرب حينها بدوّلٍ أخرى ترعرعت في الضفة الأخرى من المتوسّط، ذات تنظيم مُحكم، وجيوش في غاية التنظيم، وأسلحة استعين في صناعتِها بأحدث طرق العِلم، وإدارات ذاتُ نفسٍ بيروقراطي وبتعليمٍ عصريّ... الخ"[القضية يمكنني أن أعتبرها، إذا جاز لي التعبير، عقدة الغرب في الذّات العربية، وما أجّج هذه العقدة وزاد من حدّتها هو السؤال الأكثر تأريقاً الذي ظلّ يسكن ذهن الفرد العربي منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى الآن: لماذا تأخر الشرق وتقدّم الغرب؟ أو لماذا تحقّقت النّهضة في البيئة الغربية وفشلت عندنا فشلا ذريعا.

توفي في يوم الأربعاء 18 فبراير عام 2009 في لندن. شيع جثمانه يوم الجمعة 20 فبراير في السودان حيث حضر مراسم العزاء عدد كبير من الشخصيات البارزة والكتاب العرب والرئيس السوداني السابق عمر البشير والسيد الصادق المهدي المفكر السوداني ورئيس الوزراء السابق، والسيد محمد عثمان الميرغني، ولم يعلن التلفزيون السوداني ولا الإذاعات الحداد على الطيب صالح لكنها خصصت الكثير من النشرات الإخبارية والبرامج للحديث عنه.

الخاتمة

الخاتمة:

وهكذا تخلص الدراسة إلى نهايتها، وما يسعني إلا أن أقدم جملة من النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا والموسوم بالجمال الثوتيقي في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح والمتمثلة كالآتي:

يتجلى الجمال الثوتيقي في توظيف ثنائية الفحولة والأنوثة في الروايات للإحالة إلى الشرق والغرب في تقابلهما الحضاري و الثقافي.

ويتجلى أيضا بالتعجب إلى المسائلة الحضارية والسياسية ، و تحول جدلية الأنا والأخر من مرحلة الانبهار لإشكالية التقدم والتخلف المتعلقة بالشرق والغرب.

حضور مما يقرب هذه الرواية من أدب الرحلة ، السفر و الترحال من صفات البطل العربي يكون دائما مسافرا إلى الغرب أو الشمال, بحثا عن امرأة أوروبية متحررة وعن علم ينتفع به ذلك انه في بلده يعاني الكبت والحرمان من العلم والمرأة. .

إن العلاقة بالمرأة تبدو متوترة أو عدائية ولا تتوج بالوئام وكثيرا ما تسودها الطهرانية أو الجنسية أو عقدة النقص والاستعلاء.

لقد استطاع الروائي الطيب صالح أن يجسد ويوثق بكل جمالية الصراع الحضاري القائم بين الشرق والغرب في روايته من خلال مصطفى, الذي يمثل الشرق حيث أخذ ينتقم من الغرب عن طريق نساء أوروبا والذي استولى عليهن منتقما من الاستعمار لسنوات الذل والظلم والعذاب الذي عناه أبناء بلاده بسببه ورد الاعتبار إلى الشرق الضعيف والمهزوم.

لقد استطاع الكاتب أن يحول شخصية مصطفى سعيد إلى شخصية غير عادية أسطورة في ذكاءه الخارق وأسطورة في تفرده وانطوائه على ذاته وأسطورة حتى في طريقة قتله المرأة التي كانت سببا في تحوله الجذري وعودته إلى قريته السودانية وأسطورة في طريقة اختفائه النهائي غرقا في النيل.

إن المقابلة التي جعلها الروائي بين الأنثى والرجل ووضعهما في إطارين متمايزين من خلال الموت ترمي إلى اقتصار الصراع بين عالمين مختلفين حضاريا: شمال جنوب هي في النهاية المعادل الفني لأزلية الصراع بين الشر والخير ووعي ذاكرة الإنسان الشرقي.

إن مشاعر الكراهية والعداء التي يحملها بطل الرواية" مصطفى سعيد" تجاه الغرب جعلته إنسانا خاويا من الحب والعطاء وبالتالي لم يكن أية صداقة ولم يفد بلده السودان من علمه الكبير، ذلك أن الغرب استرد منه ما أعطاه إياه وجعله هشيما.

الكفة دائما تميل ناحية الغرب لتأكيد غلبة القوة والتطور في الغرب على عناصر التخلف والضعف في الشرق على الرغم من كل المغريات يبقى الشرقي شرقيا لأنه متمسك بدينه وهويته العربية.

ومن هذه النقاط يظهر الجمال التوثيقي في" رواية موسم الهجرة إلى الشمال" التي تمكن فيها الطيب صالح من التنقل بين أزمنتها بكل براعة كما تمكن من شمل كل القضايا التي أثارها و الأحداث بتسلسل دقيق مشوق ومثير لفضول القراء.

قائمة المصادر و المراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

2- جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا. ت: دار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

3- حميد لحميداني، بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي.

4- الذات و الآخر في رواية موسم الهجرة إلى الشمال مجلة دراسات أدبية لميلود شنوفي – الجزائر

5- صلاح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف.

6- صورة ألآخر في الشعور العربي لسعد فهد الذويخ

7- عبقري الرواية العربية – مجموعة مؤلفين – الطيب صالح

8- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، تح : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة

9- قراءة في رواية موسم الهجرة في الشمال – مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية – الجزائر للسعيد هادف

10- الكذب والجنس كأداتي انتقام في رواية موسم الهجرة –مجلة نزوى عمان لعبد القادر شريف بموسى

11- موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح

12- الهوية في مواجهة الاندماج المغاربي الثاني بفرنسا دار قرطبة للنشر لمحمد سالم

فهرس الموضوعات :

مقدمة:	أ
تمهيد	1
الفصل الأول	6
المبحث الأول: لمحة حول رواية موسم الهجرة إلى الشمال:	7
المبحث الثاني: ملخص رواية موسم الهجرة إلى الشمال :	12
الفصل الثاني	15
المبحث الأول: دراسة الجانب الفني لرواية موسم الهجرة إلى الشمال:	16
المبحث الثاني: القضايا التي تطرق إليها المؤلف في رواية موسم الهجرة إلى الشمال:	18
1-1 قضية الصراع الحضاري بين الشرق والغرب:	18
1-2 إشكالية الهوية بين الشرق والغرب:	18
المبحث الثالث: جماليات السرد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال:	20
1- العودة إلى الوطن:	26
2- نظرة الشرق إلى الغرب في الرواية:	28
2-1 الغرب من الجانب الإنساني:	28
2-2 الغرب من الجانب العنصري الطبقي:	29
2-3 وصف الغرب و الحضارة:	30
2-4 وصف الغرب وعداوته مع الشرق :	32
2-5 وصف الشرقي لموطنه في الشرق:	35
2-6 - أسباب احتقار الغرب للشرق:	40
2-7 نهاية الرحلة :	43

2-8- عنصر التشويق والغموض في الرواية: 46

الملحق 51

1- ترجمة المؤلف : 52

1-1 الحياة المهنية: 52

2.1- من أهم أعماله الأدبية: 54

3.1- جوائز باسمه: 55

4.1- اقتباسات من كتبه: 55

الخاتمة: 58

قائمة المصادر و المراجع: 60

الملخص:

إن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" نالت شهرتها من كونها من أولى الروايات التي تناولت، بشكل فني راق، الصدام بين الحضارات وموقف إنسان العالم الثالث النامي ورؤيته للعالم الأول المتقدم، ذلك الصدام الذي تجلّى في الأعمال الوحشية دائماً، والرقيقة الشجية أحياناً، لبطل الرواية "مصطفى سعيد."

تعتبر روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" واحدة من أفضل مائة رواية في العالم. وقد حصلت على العديد من الجوائز. وقد نشرت لأول مرة في أواخر الستينات من القرن العشرين . الرواية تقع في 171 صفحة من القطع المتوسط و هي من إصدارات دار العودة في بيروت, و رغم قلة عدد صفحاتها إلا انك تجد نفسك أمام عالم مترام الأطراف لا يحده عدد صفحات... و لا صحراء...و لا أي شيء آخر.

الكلمات المفتاحية:الرواية–الهجرة–الحضارات– الطيب صالح.

Résumé :

Le roman "Saison de la migration vers le Nord" a acquis sa renommée parce qu'il a été l'un des premiers romans à traiter, de manière artistique, du choc des civilisations et de la position de l'homme du tiers-monde en développement et de sa vision du premier monde avancé, ce choc qui s'est toujours manifesté dans les actions brutales et parfois mélancoliques du protagoniste "Mustafa Said."

Son roman "Season of Migration to the North" est considéré comme l'un des 100 meilleurs romans au monde. Elle a remporté de nombreux prix. Il a été publié pour la première fois à la fin des années soixante du XXe siècle. Le roman se situe en 171 pages de volume moyen, et c'est l'une des publications de Dar Al-Awda à Beyrouth, et malgré son petit nombre de pages, vous vous retrouvez face à un vaste monde qui n'est pas limité par le nombre de pages... ni le désert... ni rien d'autre.

Mots clés : roman - immigration - civilisations - Tayeb Salih.

Summary :

The novel "Season of Migration to the North" gained its fame because it was one of the first novels to artistically deal with the clash of civilizations and the position of third world man in development and his vision of the advanced first world, this shock which has always manifested itself in the brutal and sometimes melancholic actions of the protagonist "Mustafa Said".

His novel "Season of Migration to the North" is considered one of the top 100 novels in the world. She has won numerous awards. It was first published in the late sixties of the 20th century. The novel is located in 171 pages of average volume, and it is one of the publications of Dar Al-Awda in Beirut, and despite its small number of pages, you find yourself facing a vast world which is not limited by the number of pages... or the desert... or anything else.

Keywords: the novel - immigration - civilizations - Tayeb Salih.